

# الولاية عند الصوفية

(القشيري - ابن عربي)

(٣٧٦ - ٤٦٥ هـ / ٥٦٠ - ٦٣٨ هـ)

دكتورة

فاطمة فؤاد

أستاذ الفلسفة المساعد

كلية الآداب ببها



## مقدمة

إن التصوف السليم هو القائم على أخلاق وآداب الكتاب والسنة والاهتداء بسلوك وأفعال وأقوال الرسول (ﷺ)، وبداية هذا السلوك هو الانتقال من مقام إلى مقام حتى يستقر في حال ثم ينتقل من هذا الحال إلى حال آخر أرقى وأعلى في الدرجة، ونظرية الولاية من أهم النظريات التي أعتقد بها جميع الصوفية، والصوفية في الوصول إلى هذه المرتبة على درجات متفاوتة وهذا التفاوت يرجع إلى درجة تفاوتهم في المجاهدات والرياضيات الروحية، وقد أطلقت الصوفية على أصحاب الدرجات ألقاب تميز كل منهما ومن ذلك إطلاقهم (الخصوص وخصوص الخصوص) وإلى غير ذلك، ولأن الأولياء ليسوا كسائر أهل الطريق لأنهم من أصحاب الدرجات أطلق عليهم من هذه الألقاب الكثير، الخصوص: أهل الخصوص هم الذين خصهم الله تعالى من عامة المؤمنين بالحقائق والأحوال والمقامات وخصوص الخصوص: هم أهل التفريد وتجريد التوحيد ومن عبر الأحوال والمقامات.... فدرجات الصعود إلى المأل الأعلى تتال بالصبر والمثابرة والإصرار والعزم والأولياء هم أولو العزم من عامة الناس بعد الرسل والولاية بمعنى المحبة، أما ولي فجانز أن تكون بمعنى مفعول كما قال الله تعالى: (وهو يتولى الصالحين)<sup>(١)</sup>.

وترجع أهمية الاهتمام بموضوع الولاية وتجلياتها هو أن موضوع الولاية له أهمية كبرى لا في الفكر الصوفي فحسب، وإنما في الفكر الإسلامي والإنساني عامة، وذلك لأنه يصح القول عن الولاية أنها ظاهرة

عامة كلية، غير مخصوصة بشعب دون آخر، فهي ظاهرة شائعة على مستوى العالم بأسره منذ أقدم العصور، ومن هنا كان من الطبيعي أن يهتم الفكر الإسلامي بالولاية والنبوة خاصة أن حضارة الإسلام قامت على دعامتين أساسيتين هما الكتاب والسنة <sup>(١)</sup> هذا من جانب ومن جانب آخر لا نجد الصوفية يخصصون بحثاً يتناول صراحة الولاية والأولياء، بل يستترون بأسماء كالعارف والصوفي، وإن ظهرت أبحاث في الولاية فهي لا تلبث أن تختفي بسرعة كما لاحظ الهجويري، وإذا قلبنا صفحات الكتب الكبرى في التصوف، والتي ألفها كتاب يعرفون بأنهم أولياء، فإننا لا نراها أكثر إفصاحاً، ويعرض شوكوفيتش، أهم هذه الكتب ومؤلفيها، قوت القلوب لأبي طالب المكي، اللمع لأبي نصر السراج، والتعرف لأبي بكر الكلاباذي، وطبقات الصوفية للسلمي، ثم الرسالة القشيرية للقشيري حيث تأخذ الولاية فصلاً كاملاً (باب الولاية) ثم يفرد القشيري باباً خاصاً للكلام على كرامات الأولياء <sup>(٢)</sup>، وقد تزايد الاهتمام الصوفي بالولاية شيئاً فشيئاً، حتى بلغ قمة تطوره عند ابن عربي الذي قدم رسالة كاملة في الرسالة والنبوة والولاية.

ومما لا شك فيه أن التسليح بالقيم الروحية يخلق طاقة دافعة للتقدم، ورغبة صادقة في العمل والإصلاح، ومن أجل ذلك عنى الفكر الإسلامي بصفة عامة والفكر الصوفي بصفة خاصة بالعديد من الموضوعات التي تدعوا إلى إصلاح الحياة الروحية في الإسلام، إذ أن التصوف يمثل الجانب الروحي (الذوقي) في الإسلام، وعلى هذا فإن علوم الصوفية نشأت

على أساس أن نفوسهم قد أحكمت أسس التقوى، وزهدت فيما اشتملت عليه الدنيا من عرض زائل، وزخرف حائل، فسالت أودية قلوبهم بما انصب فيها من مياه العلوم التي اجتمعت في هذه القلوب<sup>(٤)</sup>، كما أن التصوف يتفرد من بين جميع الأساليب التي حاول الإنسان أن يشبع بها رغبته في معرفة الحقيقة بأنه لا يفترض وجود حقيقة مطلقة وحب، بل حقيقة مطلقة يمكن معرفتها والاتصال بها<sup>(٥)</sup>.

وعلى الرغم من أن الفكر الإسلامي بصفة عامة والفكر الصوفي بصفة خاصة قد اهتم بالعديد من الموضوعات، إلا أن هناك بعض الموضوعات ما زالت في حاجة إلى مزيد من البحث والتقيب، ومن بين هذه الموضوعات مفهوم الولاية ومراتبها وما يلزمها من كرامات، وعلى هذا فإنه إذا كان من أصول الطريق الصوفي الالتزام بالكتاب والسنة والتحلي بالطاعات والدوام عليها والتخلي عن هوى النفس، فإنه من الطبيعي أن يسمى ذلك الشخص الملتزم بأصول الطريق بالولي، لأنه يحظى بفضل الله وولايته له، إذ أن الولاية تحقق له النصرة والأمان كما جاء ذلك في العديد من الآيات القرآنية.

يضاف إلى ذلك أن الاهتمام بالولاية في مجال بحثنا هذا العديد من الدوافع أولها: أن هناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث والأقوال التي تعبر في مضمونها عن الولاية ولمن تحدث له الولاية وكذلك الكرامة، أما ثاني: هذه الدوافع هو ظهور أدياء التصوف وادعائهم الكرامات وخوارق العادات من أجل كسب مادي أو تحقيق مصلحة شخصية أو غير ذلك، وما

يترتب على ذلك من اعتقادات خاطئة كالتوسل بهم وطلب الحوائج منهم، ومن هنا نرجع أهمية البحث في الولاية والكرامة.

ولكن إذا كنا قد تناولناها عند القشيري<sup>(٦)</sup> وابن عربي بالذات فإن ذلك يرجع إلى أن القشيري من أصحاب الاتجاه السني الملتزم بالكتاب والسنة، ولهذا نطرح بعض الأسئلة ونحاول الإجابة عليها من خلال هذا البحث، منها ما هي الولاية في تصورهما القرآني وفي تصورهما خاصة عند الصوفية؟ وما هي الولاية ومفهومها ومراتبها؟ وما هي حدود الولاية وحدود النبوة وكيف تفهم الولاية على أنها بين الكسب والوهب؟ ثم يأتي آخر سؤال وهو هل الكرامة من لوازم الولاية، ولمن تحدث الكرامة؟ وما حدودها؟ بالمقارنة مع ابن عربي الذي يأتي بعده والذي يعد من أبرز المهتمين بالتصوف الفلسفي، (نظري) والمتأثر بمؤثرات خارجية عن الإسلام.

فالشخصيتان اللذان وقع عليهما الاختيار تعدان من أبرز المهتمين بالتصوف، إذ يقال (أن التصوف ليس شيئاً زائداً على ما في القرآن أو سنة رسول الله ﷺ) بل هو تجسيد لجانب عظيم من الإسلام أهمل نتيجة توغل الفقهاء يعد السلف الصالح في فروع الفقه وإهمال الجانب السلوكي الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ) والسلف الصالح<sup>(٧)</sup>، كما وضع القشيري كتابة القيم "الرسالة القشيرية" ليجري فيها ما طرأ على التصوف من بدع وخرافات والركون إلى إتباع الشهوات وادعاء الكرامات، ولهذا أفرد القشيري باب خاص للكلام عن الولاية في رسالته ثم باباً آخر للكلام

عن كرامات الأولياء، خصوصاً وأن القشيري قد أعتبر من الصوفية الملتزمين بالكتاب والسنة صفوة أولياء الله تعالى وفضلهم على كافة عبادهم، وفي هذا يقول: (فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عبادة بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم وجعل قلوبهم معادن أسرارهم واختصهم من بين الأمة بطوالع أنوارهم، فهم الغياث للخلق والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق صفاهم من كدورات البشرية ورقاهم إلى محال المشاهدات<sup>(٨)</sup>).

وعلى الجانب الآخر يذهب القشيري إلى اختفاء الصوفية الحقيقيين بعد القرنين الثالث والرابع الهجري (أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل:

أما الخيام فإنها كخيامهم \*\*\* وأرى نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في هذه الطريقة لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة مضى الشيوخ الذين كانوا بهم اقتداء وقل الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء وزال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع وقوى رباطه.... واستخفوا بأداء العبادات واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى إتباع الشهوات وقلة الميالات<sup>(٩)</sup>.

#### ١ - الولاية من ناحية المصطلح:

بداية لكي نفهم الولاية لا بد من تعريفها من ناحية اللغة، فهي بفتح الواو بمعنى النصر والولاية بكسر الواو. فهي الإمارة، وكلتاها مصدر ولي ولما كان هذا هكذا وجب أن تكون الكلمات مثل دلالة، والولاية أيضاً

الربوبية ومن ذلك أن الله تعالى قال (هنالك الولاية لله الحق) "الكهف: آية ٤٤" <sup>(١٠)</sup>، وقال الأستاذ أبو القاسم: (الولي له معنيان أحدهما فاعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله سبحانه أمره قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته والثاني فاعيل مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصبان وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً بحسب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء) <sup>(١١)</sup>.

وفي موضع آخر يقول الإمام القشيري "الولي اسم من أسمائه" قال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) "سورة البقرة: آية ٢٥٧" فالولي في وصفه تعالى هو المتولي لأعمال عباده، وقيل هو فاعيل من الوالي، والولي في اللغة يكون بمعنى الناصر وأولياء فلان أنصاره والولي القريب وقوله تعالى (أولى لك فأولى) وقيل معناه قاربك ودنا منك ما خوفت به فأننت له.... فأولياء الله تعالى أنصار دينه أشياع طاعته... قال تعالى (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) "سورة فصلت: آية ٣١" قيل معناه أنصاركم، وتكون الولاية بمعنى المحبة (الله ولي المؤمنين) "سورة آل عمران: آية ٦٨" أي يحبهم، وأخبر الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام أنه قال: (أنت ولي في الدنيا والآخرة) "سورة يوسف: آية ١٠١" <sup>(١٢)</sup>.



والولاية هي من الولي وهي على وزن فعيل بمعنى الفاعل وهو من توالى طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو تأتي بمعنى المفعول فهو من (يتوالى) عليه إحسان الله وأفضاله - كما قال القشيري - والولي هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن من المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات، وقد تأتي الولاية بمعنى القرب، فهي القرابة حكمية حاصلة من العنف أو من الموالاتة، والولاية عند الصوفية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، والولاية في الشرع تنفيذ القول إلى الغير، شاء الغير أو أبى<sup>(١٣)</sup>، كما أنها نوعان ولاية صغرى وكبرى، فالصغرى يتولى فيها العبد طاعة الله، والكبرى هي التي يتولى الله فيها عبده فلا يكله إلى نفسه ولا إلى الناس... وقيل تولى الحق سبحانه وتعالى عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه، علماً وعيناً وحالاً وتصرفاً<sup>(١٤)</sup>.

والولاية عند قوم الصوفية نوعان: ولاية عامة وهي التي لا يجب معرفتها، وولاية خاصة وهي التي يجب معرفتها والتحقق بها، وهذا ما يؤكد قول أبو بكر الكلاباذي (والولاية ولايتان: ولاية تخرج من العداوة وهي لعامة المؤمنين - ولاية الشيطان - فهذه لا توجب معرفتها والتحقق بها للأعيان، لكن من جهة العموم، فيقال: المؤمن ولي الله: ولاية اختصاص واصطفاء واصطناع وهذه توجب معرفتها والتحقق بها ويكون صاحبها محفوظاً عن النظر إلى نفسه، فلا يدخله عجب ويكون مسلوب الخلق، بمعنى النظر إليهم بحظ فلا يفتنونه، ويكون محفوظاً عن آفات

البشرية وإن كان طبع البشرية قائماً معه باقياً فيه، فلا يستحلي خطأً من حظوظ النفس) (١٥).

وقيل هو أن يحصل شئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، وحيث كان هذا هو معين القرب استعملت هذه اللفظة في القرب على اختلاف مفهوماته النسبي منه والحقيقي والتوالي، وفي توالي الأمور ونحو ذلك وفي لسان التحقيق هو بمعنى القرب أيضاً (١٦).

وقد ذكر القشيري في رسالة تعريفات كثيرة عن الولاية، ونقل عن أكابر الصوفية آراءهم في موضوع الولاية وأهميتها وعلامتها وكيفية الحصول عليها، ذلك لأن الولاية جاءت في القرآن الكريم بمعاني مختلفة قد يراد بها مدح، أو يراد بها أحياناً ذماً، أو تعبر عن ولاية الرحمان أو ولاية الشيطان، ويختلف الناس في درجات الولاية على قدر اعتقادهم وإيمانهم والتزامهم بأمور الشرع وهذا ما يترتب عليه درجة القربة والنصر من الحق تعالى والمحبة له، فكل من أحب الله ونصره، وأقام حدوده وشريعته سار ولي الله تعالى، وقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية طريق الولاية الحقّة.

## ٢- الولاية في الكتاب والسنة:

إذا كان معنى الولاية في اللغة يعني القرب من الحق تعالى والابتعاد عن المعاصي والمخالفات والتأدب بالآداب الذي يحتاج إليه للدخول إلى مقام القرب من الحق تعالى فإن هذا هو أحد المعاني التي وردت بصورة متعددة ومتنوعة في الكتاب والسنة، فالقرآن الكريم يزخر

بقدر هائل من معاني الكلمة سواء أكان ذلك بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة بصورة تتضمن المعنى، ومن هذه الآيات قوله تعالى: (وهو يتولى الصالحين) "سورة الأعراف: آية ١٩٦"، وأيضاً قوله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) "سورة يونس: آية ٦٢" فجزاء الصالحين عدم الخوف والحزن من قضاء الله وأمره، وقوله تعالى (وهو الولي الحميد) "سورة الشورى: آية ٢٨"، فالولاية اسم مشتق من أسماء الله تعالى وأيضاً قال تعالى (الله ولي المؤمنين) "سورة آل عمران: آية ٦٨"، وكذلك (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) "سورة البقرة: آية ١٠٧"، و(نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) "سورة فصلت: آية ٣١"، وفي موضع آخر (الله ولي الذين آمنوا) "سورة البقرة: آية ٢٥٧".

ويذكر د/ أحمد الجزار أن مشتقات الولاية في القرآن هو الولي وجمعه أولياء، والأول قد ورد في القرآن في أربعة وأربعين موضعاً، أما الثاني فقد ورد في القرآن في اثنتين<sup>(١٧)</sup>، وولاية الشيطان وهم الذين اتخذوا من الشياطين أولياء لهم، وهذا ما يذكره القرآن الكريم في العديد من الآيات، فأولياء الرحمن هم الذين واطبوا على الطاعات والعبادات فتحقق لهم النصر والقرب من الحق تعالى ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أما الذين لا يؤمنون ولم يتخذوا من الحق ولياً لهم هم الذين جعلوا الشياطين أولياءهم فكانت عاقبتهم عدم القرب والنصرة من قبل الحق تعالى، وأولياء الرحمن هم الذين قال في حقهم (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون

الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)  
 "سورة التوبة: آية ٧١"، أما أولياء الشيطان هم (مثل الذين اتخذوا من دون  
 الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وأن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو  
 كانوا يعلمون) "سورة العنكبوت: آية ٤١".

على حين يذكر د/ كامل مصطفى الشبيبي أن الولاية وردت في  
 القرآن في نحو خمسة وستين موضعاً منها قوله تعالى (ألا إن أولياء الله لا  
 خوف عليهم ولا هم يحزنون) "سورة يونس: آية (١٥:٦٢)"، بمعنى  
 الأحياء والمقربين إليه، واختار القشيري الآية "وهو يتولى الصالحين"  
 (سورة الأعراف: آية ١٩٦) وهو اختيار يناسب مشرب الصوفية،  
 فالصالحون في القرآن تعبير يستعمل في الأكثر للدلالة على الأنبياء، وتلك  
 محاولة بارعة من القشيري لوصول الولاية بالنبوة بكونهما الوسيلة  
 المباشرة للاتصال بالله، ويبدو أن الوصف بولاية الله قد دار حول علي بن  
 أبي طالب قبل أي مسلم آخر، ويبدو ذلك من شعر الفضل بن العباس....  
 فكان مما قال:

وكان ولي العهد يعد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه  
 علي ولي الله أظهر دينه وانت مع الأشقيين فيمن يحاربه (١٨)  
 وعلى هذا النحو يورد القرآن الكريم العديد من الآيات التي تبين  
 معنى الولاية، ذلك لأنها من أسماء الحق تعالى على حد قوله (هنالك  
 الولاية لله الحق) "سورة الكهف: آية ٤٤" فالله هو الولي لجميع خلقه، كما  
 يضاف إلى هذه الآيات العديد من الأحاديث النبوية التي تؤكد الولاية للحق

تعالى وولايته لجميع خلقه، ومن هذه الأحاديث الحديث الصحيح (ﷺ) أنه قال (من عاد لي ولياً فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما أفترضه عليه، وما يزال عبدي تقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته) (١٩).

### ٣- مفهوم الولاية ومراتبها:

يعد أن أوضحنا معنى الولاية في اللغة وكيف أن هذا المعنى مستمد من القرآن الكريم والسنة، كان علينا أن نعرف الولاية، إذ أن الولاية تعني العديد من المعاني منها النصر أو الإمارة، وقد تكون بمعنى المحبة، ذلك لأن العبد يقوم بطاعة الحق تعالى ويدوم على رعاية حقوقه ومن ثم ينعم بالمحبة الإلهية، فنصرة الحق تعالى لعباده المؤمنين تكون بالنصرة على هوى النفس وشهواتها، وكذلك النصر بتدبير معاني آيات القرآن الكريم، والاستدلال بها على نعم الحق تعالى، وعلى هذا يقول الهجويري: وجميع هذه المعاني جائزة من الحق إلى العبد، ومن العبد إلى الحق لأنه يجوز أن يكون الله تعالى ناصر أحبائه إذ أنه وعد أحبائه من صحابة النبي وقال (ألا إن نصر الله قريب) "البقرة: آية ١٢٤" وقال أيضاً (وأن الكافرين لا مولى لهم) "محمد: آية ١١" أي لا ناصر لهم وكما لم يكن ناصرًا للكفار فلا محالة أن يكون ناصرًا للمؤمنين فينصرهم وينصر

عقولهم في الاستدلال بالآيات وبيان المعاني لقلوبهم وكشف البراهين لإسرارهم وينصرهم على مخالفة النفس والهوى والشيطان وموافقة أمور أنفسهم (٢٠).

فالمحبة هي بداية الطريق إلى الولاية، وعلى هذا فإن القلب والجوارح لا يشتغلان بشيء إلا بعد حبه، وعلامة ذلك المسارعة إليه بغير توقف، فما قصر جسم عن همته، فأول السلوك تمكن محبة المولى من القلب حتى لا يلتفت إلى غيره فيكون العبد به وله، ولا باختيار من نفسه (٢١)، فالصوفي يرقى إلى ما نوي عليه، فإذا تطلع إلى الحب قوبل هذا الحب بالحب من الذات الإلهية، وإذا ما تطلع إلى الكره قوبل هذا بالكره والغضب الإلهي، والولي هو الذي يجمع بين الفناء والبقاء، فناء عن الهوى والغوى والكره والعصيان، والبقاء بالحب للذات الإلهية وأنوارها، ذلك لأن الفناء هو أساس الطريق إلى الولاية والوصول إلى مقام البقاء والتحقق بها، وعلى هذا جعل القشيري الولاية على معنيين: أولهما هو أن الله تعالى (لا يكله إلى نفسه لحظه، بل يتولى الحق سبحانه رعايته) وهي ما تسمى ولاية من الله تعالى وتكون للصالحين وهم في أعلى درجة من درجات الولاية، أما الولاية الثانية وهي التي تكون من قبل العبد وذلك بالمواظبة على الطاعات والعبادات والبعد عن المعصيات (وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته فعبادته تجري على التوالي، من غير أن يتخللها عصيان) (٢٢).

والولي يجمع بين الفناء والبقاء، فناء عن الهوى والغوى وبقاء بأنوار الحق تعالى، ذلك لأن الفناء هو أساس الطريق حتى يصل إلى مقام

البقاء والتحقيق، والفاني المحقق من شعر بوجوده عند الغيبة والحضور، وهذا هو سلوك الكمل من الأولياء، وهذا ما دعا إليه القشيري من خلال (قول إبراهيم بن أدهم إذ قال لرجل: أتحب أن تكون لله ولياً؟ فقال: نعم، فقال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة، وفرغ نفسك لله تعالى، وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك)، فأخلاق الأولياء مستمدة من أخلاق الأنبياء ويأتوا في المرتبة الثانية<sup>(٢٣)</sup>، بعد الأنبياء.

ومما يضاعف أهمية الولاية أنها لا تتحقق إلا بعد الفراغ من أهواء النفس وشهواتها والعمل بالكتاب والسنة، كما أن هذه الولاية لا تتحقق بدون الاقتداء بالسلف الصالح، ولهذا جعل القشيري نهايات الأولياء أي الذين في أعلى مرتبة من مراتب الولاية هم في مرتبة بعد الأنبياء وهذا ما أكد عليه عبد الرحمن السلمي بقوله (نهايات الأولياء بدايات الأنبياء)<sup>(٢٤)</sup>، ولما كانت الولاية على درجات وأعلىها ولاية الصالحين وهم من تولهم الله تعالى - فإن هذا الولي فنى عن نفسه وعن الأغيار وبقي بمشاهدة الحق تعالى وتوالت عليه أنواره، ولم يكن له مع الله تعالى اختيار ولا قرار، وهذا ما أكد عليه القشيري من خلال قول أبو علي الجوزجاني (قال: الولي هو الفاني في حاله، الباقي في مشاهدة الحق سبحانه، تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولي، لم يكن له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار)<sup>(٢٥)</sup>.

وإذا كانت ولاية الصالحين هي أعلى مراتب الولاية عند القشيري وهي ولاية من الله تعالى، فإن باقي الأولياء تأتي في المرتبة الثانية وهي

ولاية من العبد بالمواطبة على فعل العبادات والطاعات وتأتي على أربع مراتب حسب تعلق كل مرتبة باسم من أسماء الله الحسنى، فكل من تحقق باسم من الأسماء الأربعة فهو الكامل التام الذي ينعم بنور المشاهدة بالأسرار الإلهية، وهذا ما أكد عليه أبو يزيد بقوله (حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء، وقيام كل فريق منهم باسم هو: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن.... ومن كان حظه من اسمه تعالى "الظاهر" لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه "الباطن" لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره، ومن كان حظه من اسمه "الأول" كان شغله بما سبق، ومن كان حظه من اسمه "الآخر" كان مرتبطاً بما يستقبله، وكل كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه الحق، سبحانه بيده، وقام عنه بنفسه، وهذا الذي قاله أبو يزيد... وكذا أصحاب الحقائق يكونون محوراً عن نعوت الخلائق كما قال الله تعالى (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود) "سورة الكهف: آية ١٨" (٢٦).

ومما يضاعف أهمية الولاية أنها لا تتحقق إلا بعد الفراغ من أهواء النفس وشهواتها والعمل بالكتاب والسنة ولهذا يقول النقري (لا تبدو الولاية لعبد إلا بعد الفراغ) (٢٧)، كما أن من أهم شروط الولاية ليس فقط البعد عن الزيف والابتداع وإتباع السلف الصالح وإنما لابد لصاحبها الهداية وإتباع الطريق المستقيم وفي هذا يذكر أبو الحسن الشاذلي قوله (الولاية مرتبطة بالإتباع دون زيف الابتداع فمن خرج عن الاقتداء فليس في شيء من الاهتداء) (٢٨).



وينعت ابن عربي مقام الولاية ويجعلها من أهم أركان إقامة الدين، إذ يشبه الدين بالبيت وله أربعة أعمدة هما الرسالة، والنبوة، والولاية، والإيمان، فالولاية هي الركن الثالث من أركان الدين، وفي هذا يقول "وهم الأقطاب والأئمة والأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم، كما يحفظ البيت بأركانه، فلو زال ركن منها زال كون البيت بيتاً، ألا أن البيت هو الدين إلا أن أركانه هي الرسالة، والنبوة، والولاية، والإيمان" (٢٩).

وأعلى مراتب الولاية هو القطب وهو في المرتبة الأولى بعد النبوة، والأقطاب عند ابن عربي ليسوا في مرتبة واحدة، وإنما هم على ثلاث مراتب، وعلى رأسها القطب الذي يحفظ الله به العالم وهو منذ خلق الله تعالى العالم حتى قيام القيامة وهو موجود بجسده وروحه وهو مجلس الحق تعالى، وفي هذا يقول ابن عربي (فلا يخلو هذا النوع الإنساني أن يكون فيه رسول من رسل الله، كما لا يزال الشرع الذي هو دين الله، ألا إن ذلك الرسول هو القطب المشار إليه... الذي يحفظ الله به هذا النوع الإنساني موجوداً في هذا النوع في هذه الدار، بجسده وروحه يتغذى، وهو مجلس الحق من آدم إلى يوم القيامة) (٣٠).

أما المرتبة الثانية من الأقطاب وهم الموجودين بأجسادهم فقط في الدنيا وهم إدريس عليه السلام بقي حياً بجسده، وأسكنه الله السموات الرابعة، وأبقى الله في الأرض إلياس وعيسى والخضر... وهما الأوتاد الأربعة الذين يحفظ الله بهم الدين الحنيف، فكلهم الأوتاد واثنان منهم "الإمامان" وواحد منهم "القطب" الذي هو موضع نظر الحق من العالم، وهو أحد

أركان بيت الدين - القطب الرابع وهو الخضر - وهو ركن الحجر الأسود، واثنان منهم هما الإمامان، وأربعتهم هم (الأوتاد) فبالواحد يحفظ الله الإيمان، وبالثاني يحفظ الله الولاية، وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة، وبالمجموع يحفظ الله "الدين الحنيفي" فالقطب من بين هؤلاء لا يموت أبداً<sup>(٣١)</sup>.

أما المرتبة الثالثة من الأقطاب وهو ما يطلق عليه لقب (الغوث) وهو لا يكون منهم في الزمان إلا واحد، ويطلق هذا اللفظ على الصحابة والسلف الصالح، ويتمتع بالخلافة إما في الظاهر والباطن، أو الخلافة في الباطن فقط، وهذا القطب هو من المقربين، وفي هذا يقول ابن عربي (ولكن الأقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقاً من غير إضافة لا يكون منهم في الزمان إلا واحد، وهو الغوث أيضاً، وهو من المقربين وهو سيد الجماعة في زمانه، ومنهم من يكون ظاهراً الحكم، ويجوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام: كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن، ومعاوية بن يزيد، وعمر بن عبد العزيز، والمتوكل، ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة، ولا حكم له في الظاهر: كأحمد بن هرون الرشيد السبتي، وكأبي يزيد البسطامي، وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر)<sup>(٣٢)</sup>.

ويلي مرتبة الأقطاب التي تعتبر أعلى مراتب الولاية، مرتبة الأئمة (ولا يزيدون في كل زمان على اثنين لا ثالث لهما، الواحد (عبد الرب) والآخر (عبد الملك) والقطب (عبد الله) قال تعالى (وأنه لما قام عبد الله

"سورة الجن: آية ١٩" يعني محمداً (ﷺ) فلكل رجل اسم إلهي يخصه، به يدعى عند الله... فالأقطاب كلهم عبد الله، والأئمة في كل زمان (عبد الملك) و(عبد الرب) وهما اللذان يخلفان القطب إذا مات وهما للقطب بمنزلة الوزيرين، الواحد منهم مقصور على مشاهدة عالم الملكوت، والآخر مع عالم الملك. ثم يلي مرتبة الأئمة: الأوتاد وهم أربعة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون... الواحد منهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه والآخر يحفظ الله به المغرب، والآخر الجنوب، والآخر الشمال، والتقسيم من الكعبة، وهؤلاء يعبر عنهم بالجمال، لقوله تعالى (ألم نجعل الأرض مهاداً والجمال أوتادا) "سورة النبا: آية ٦، ٧" فحكم هؤلاء في العالم، حكم الجبال في الأرض... فيحفظ الله بالأوتاد هذه الجهات وهم محفوظون من هذه الجهات) (٣٢).

ويجعل ابن عربي المرتبة التي تلي مرتبة الأوتاد هي مرتبة الأبدال وعددهم حسب عدد الأفلاك، ولهم من الأسماء أسماء الصفات الإلهية والأبدال سبعة، لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل (بدل) إقليم فيه ولايته، الواحد منهم على قدم الخليل عليه السلام وله الإقليم الأول، والثاني على قدم الكليم عليه السلام، والثالث على قدم هرون، والرابع على قدم إدريس، والخامس على قدم يوسف، والسادس على قدم عيسى، والسابع على قدم آدم، وهم عارفون بما أودع الله سبحانه في الكواكب السيارة من الأمور والأسرار في حركاتها، ونزولها في المنازل المقدرة، ولهم من الأسماء أسماء الصفات، فمنهم عبد الحي، وعبد

العليم، وعبد الودود، وعبد القادر، وهذه الأربعة هي أربعة أسماء الأوتاد، ومنهم عبد الشكور، وعبد السميع، وعبد البصير - لكل صفة إلهية رجل من هؤلاء الأبدال... وما من شخص إلا وله نسبة إلى اسم إلهي منه يتلقى ما يكون عليه من أسباب الخير... وسموا هؤلاء أبدالاً، لكونهم إذا فارقوا موضعاً، ويريدون أن يخلقوا بدلاً منهم في ذلك الموضع، لأمر يروونه مصلحة وقربة... وأهل الله قد يسمون الرجبين أبدالاً، وهم أربعون، وقد يسمون الاثني عشر أيضاً أبدالاً<sup>(٣٤)</sup>.

كما أن مرتبة النقباء تأتي في المرتبة الثانية للأبدال، وعددهم حسب عدد الكواكب المتحركة والثابتة وهم اثنا عشر كوكباً، ولديهم علم بعلوم الشرائع المنزلة، ومعرفة طبائع النفوس من مكر وخداع وشهوة، ومثلهم في ذلك مثل علماء الآثار والحفريات، وهذا ما أكده ابن عربي بقوله (النقباء هم اثنا عشر نقيباً في كل زمان، لا يزدون ولا ينقصون، على عدد برج الفلك الاثني عشر برجاً، كل نقيب عالم بخاصية كل برج، وبما أودع الله في مقامه من الأسرار والتأثيرات، وما يعطي للنزلاء فيه من الكواكب السيارة والثوابت... واعلم أن الله قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها، مثل العلماء الآثار والقافة)<sup>(٣٥)</sup>.

وإذا كان النقباء عددهم اثنا عشر حسب عدد الأبراج، فإن (ابن عربي جعل النجباء عددهم ثمانية في كل زمان، وهم الذين تبدو منهم وعليهم أعلام القبول من أحوالهم... ومقامهم الكرسي لا يتعدوه ما داموا

نجباء، ولهم القدم الراسخة في علم تسيير الكواكب من جهة الكشف والإطلاع، لا من جهة الطريقة المعلومة عند العلماء بهذا الشأن، والنقباء هم الذين حازوا علم الفلك التاسع، والنجباء حازوا علم الثمانية الأفلاك التي دونه (٣٦).

ويجعل ابن عربي على قمة الأنبياء وخاتمهم سيدنا محمد (ﷺ)، وعلى قمة الأولياء وخاتمهم سيدنا عيسى عليه السلام، فهو من جهة خاتم للولاية العامة، ومن جهة أخرى خاتم الولاية المحمدية أي مع الرسل، ولهذا فهو (واحد لا في كل زمان بل هو واحد في العالم، يختتم الله به الولاية المحمدية، فلا يكون في الأولياء المحمدين أكبر منه، يختتم الله به الولاية العامة، وهو عيسى عليه السلام.. فله يوم القيامة حشران: يحشر في أمة محمد (ﷺ) ويحشر رسولاً مع الرسل عليهم السلام (٣٧). ويجعل ابن عربي على قمة الأنبياء وخاتمهم سيدنا محمد (ﷺ)، وعلى قمة الأولياء وخاتمهم سيدنا عيسى عليه السلام، فهو من جهة خاتم للولاية العامة، ومن جهة أخرى هو خاتم الولاية المحمدية أي مع الرسل.

ومما يعظم الولاية عند ابن عربي هو مقام القرية من الله تعالى وهو ما يطلق على أهله بالملامية، أي الذين يشغلون أنفسهم بكثرة العبادات والطاعات وكثرة اللوم على القيام على أقل ذنب يقع منهم، وهم في أعلى درجات الولاية أي بعد درجة النبوة ولهذا نزلت فيهم آيات الذكر الحكيم، وهؤلاء مستورون لا يعرفهم عامة الناس فهم الأخفياء الأبرياء، وفي هذا يقول ابن عربي (الملامية هم الرجال الذين حلوا من الولاية في أقصى

درجاتها وما فوقهم إلا درجة النبوة، وهذا يسمى مقام القربة في الولاية، وآيتهم في القرآن (حور مقصورات في الخيام): ينبه بنعوت نساء الجنة وحورها، على نفوس رجال الله الذين اقتطعهم إليه، وصانهم، وحبسهم في خيام صون الغيرة الإلهية، في زوايا الكون خشية أن تمتد إليهم عين فتشغلهم، ... فحبس ظواهرهم في خيمات العادات والعبادات من الأعمال الظاهرة، والمثابة على الفرائض منها والنوافل، فلا يعرفون بخرق عادة، فلا يعظمون، ولا يثار إليهم بالصلاح الذي في عرف العامة.... فهم الأخفياء الأبرياء، الأمناء في العالم، الغامضون في الناس فيهم<sup>(٣٧)</sup>.

هكذا يفسر كل من الإمام القشيري وابن عربي الولاية على أنها القربة من الله تعالى والمحبة لله، وذلك بزيادة العبادات والطاعات على قدر أخلاقهم، وفي هذا يستشهد القشيري بقول يحيى بن معاذ (السولي ربحان الله تعالى في الأرض، يشمه الصديقون فتصل رائحتهم إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم، ويزدادون عبادة على تفاوت أخلاقهم)<sup>(٣٨)</sup>.

فالقربة من الله تعالى لا تكون إلا بالفرار من الخلق، والانشغال بالحق تعالى وجعله غايته ومراده، وهذا ما اتفق عليه كلاً من القشيري وابن عربي (إذ قيل علامة الولي ثلاثة: شغله بالله، وفراره إلى الله، وهمه إلى الله)<sup>(٣٩)</sup>.

والقرب من الله تعالى يكون بدوام الذكر له في السراء والضراء بالقلب أو اللسان والمواظبة على الطاعات وإذا داوم العبد على ذلك قربه الله إليه، فإذا تقرب العبد من الله تعالى تقرب إليه وتولاه ورفعاه عن

الحجب وكشوف بالأنوار والإشراقات الإلهية وأدخله دار الفردانية، وفي هذا يتفق كلاً من القشيري وابن عربي، إذ يورد القشيري في رسالة قول الخراز (إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الأنس به، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية، وكشف له عن الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فحينئذ صار العبد زمناً فانياً، فوقع في حفظه سبحانه، وبرئ من دعاوى نفسه) (٤٠).

ويذكر ابن عربي اسم جامع لكل الأولياء على اختلاف درجاتهم وإعدادهم بأنهم المسمون بعالم الأنفاس ومخباء للأسرار الإلهية، وفي هذا يقول (واعلم أن رجال الله في هذه الطريقة هم المسمون بعالم الأنفاس وهو اسم يعم جميعهم، وهم على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة، فمنهم من تجمع له الحالات كلها والطبقات، ومنهم من يحصل من ذلك ما شاء الله، وما من طبقة إلا لها لقب خاص من أهل الأحوال والمقامات التي يظهرون عليها في قوله تعالى (ومعارج عليها يظهرون) "سورة الزخرف: آية ٣٣" كل طائفة في جنسها ومنهم من يحصره عدد في كل زمان ومنهم من لا عدد لهم) (٤١).

ولما كانت الولاية والإيمان بها لا تتال القبول لدى العديد من الفرق والطوائف الإسلامية فإن ابن عربي أكد على ضرورة الإيمان بها واعتبر رجالها حاملين أسرار الله المخبوءة التي اختصها الله بها دون

غيرهم من العباد، وفي هذا يقول (أسرار الله المخبوءة في خلقه التي اختص الله بها من شاء من عباده، فكونوا لها قابليين، مؤمنين بها، ولا تحرموا التصديق بها فتحرموا خيرها) <sup>(٤٢)</sup>.

وجامع الأولياء هو ما يطلق عليه خاتم الأولياء أو القطب وهذا اللفظ لم يكن مستخدماً عند القشيري والصوفية السنين السابقين على ابن عربي، وخاتم الأولياء عند ابن عربي كما سبق أن ذكر هو واحد في كل العالم واحد في روحانية، وإن ظهر بعده ولي فليس له نفس المقام العلي، هذا الخاتم هو حامل لواء الولاية، ويطلق هذا اللفظ على سيدنا عيسى عليه السلام، وفي هذا يقول ابن عربي (أن الختم الذي يحمل لواء الولاية، ويكون المنتهى للمقام والغاية، أنه قد كان حتماً لا يعرف، وكان له الأمر لا يزد ولا يصرف في روحانية متسجدة وفردانية متعددة، ختم أمراً جسيماً فاستتر، وختم أمراً مقامياً فظهر، وإن ظهر بعده ولي فليس له المقام العلي، فإنه من جملة أتباعه وصحابته وأشياعه) <sup>(٤٣)</sup>.

ريجعل ابن عربي الولاية في مرتبة أعلى من مرتبة النبوة، إذ النبوة عنده على قسمين هما النبوة العامة التي لا تشريع فيها ويجب الاجتهاد فيها وهي تخص الأولياء، ونبوة خاصة وهي التي بها التشريع وهي تخص الأنبياء لذلك جعل الله تعالى الأولياء ورثة الأنبياء في العلم، ولهذا فالولي الكامل، هو الذي يسمى بأسماء الله تعالى. وذلك لأن الولي اسم من أسماء الله تعالى. والحق تعالى سمي بالولي ولم يسمى بالنبي أو الرسول، كما يجعل ابن عربي الولاية أعلى من النبوة على أساس آخر هو



أن الولي تابع للحق تعالى والتابع لا يدرك شيوعه، إذ لو أدركه لم يكن تابع، وهذا تحليل متأثراً فيه بمنطق القياس الأرسطي القائم على مقدمتين - هما الاجتهاد وفي التشريع (العلم) وكذلك الولاية للحق تعالى - ونتيجة هي الولاية التامة للحق تعالى، ولهذا فإن الولاية هي الفلك المحيط بالعالم ولم تنقطع وهي النبوة العامة، أما النبوة الخاصة نبوة التشريع والرسالة فقط انقطعت بخاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا يقول ابن عربي (فإن العبد يريد ألا يشارك سيده وهو الله في اسم والله لم يتسم بنبي ولا رسول، وتسمى بالولي واتصف بهذا الاسم فقال (الله ولي الذين آمنوا) "سورة البقرة: آية ٢٥٧". وقال (هو الولي الحميد) "سورة الشورى: آية ٢٨" وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة، فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة: إلا أن الله لطف بعباده، فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها، وأبقى لهم التشريع في الاجتهاد في ثبوت الأحكام، وأبقى لهم الوراثة في التشريع فقال "العلماء ورثة الأنبياء" وما ثم ميراث في ذلك إلا فيما اجتهدوا من الأحكام فشرعوه.... فإذا سمعت أحداً من أهل الله يقول أنه قال الولاية أعلى من النبوة، فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه... وهو أن الرسول عليه السلام من حيث هو ولي أتم من حيث هو نبي رسول، لا أن الولي التابع له أعلى منه، فإن التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه، إذ لو أدركه لم يكن تابعاً له فافهم، فمرجع الرسول والنبي المشرع إلى الولاية والعلم، ألا ترى الله تعالى قد أمره بطلب الزيادة من العلم لا من غيره فقال له أمراً (وقل رب زدني

علماً "سورة طه: آية ١١٤"، إذ النبوة والرسالة خصوص رتبة في الولاية على بعض ما تحوي عليه الولاية من المراتب، فيعلم أنه أعلى من السولي الذي لا نبوة تشريع عنده ولا رسالة.. إذ النبي هو الولي الخاص<sup>(٤٤)</sup>.

وهذا ما يتفق عليه عبد الكريم الجبلي مع ابن عربي في تعريف الإنسان الكامل بأنه (القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود، وأنه واحد لا يتعدد وإنما يظهر في الأنبياء والأولياء في صور وملابسات مختلفة)<sup>(٤٥)</sup>. ومن ثم يمكن أن نقول كل رسول ولي ولا يمكن القول أن كل ولي رسول، إذ أن الولاية أمر عام، أما النبوة والرسالة أمر خاص لا يتصف بها أي شخص.

فطريق الولاية طريق صعب لا يقدر عليه إلا من كانت بدايته أحكم، والولي هو الذي يجعل الحق مقصده وغايته ويسلك طريق الحق وذلك على حد قول الإمام الرفاعي (إلا أن الولي من ولي وجه عن النفس والشيطان والدنيا والهوى وولى وجهه وقلبه المولى وأعرض عن الآخرة والأولى ولم يطلب إلا الله)<sup>(٤٦)</sup>، وهذا ما أخذ به ابن عربي من بعده إذ قال (الولي اسم باق لله تعالى، فهو لعبيده تخلقاً وتحققاً وتعلقاً)<sup>(٤٧)</sup>.

ولما كان الفارق ما زال موجوداً بين الأنبياء والأولياء، فإن ابن تيمية يذهب إلى أنه لا يوجد ما يسمى بخاتم الأولياء كما ذهب ابن عربي قياساً على خاتم الأنبياء وذلك لأن خاتم الأولياء هو سيدهم وأفضلهم، لأن الفضل لخاتم الأنبياء لا لمجرد كونه خاتماً، بل لأدلة أخرى، أما أفضل الأولياء حقيقة، فهم الأسبق إلى خاتم الأنبياء، فإن الولي يتبع النبي، فكلما

قرب منه كان أفضل والعكس صحيح، وينبني على ذلك أن الأولياء غير معصومين من الذنوب، وإنما قال بعض الصوفية نتيجة لتأثير التشيع على التصوف في أسماء القطب والغوث وما إليها<sup>(٤٨)</sup>.

أما عن صفات أولياء الله تعالى وهما ما يطلق عليهم بالواصلين هي صفات أهل الكتاب والسنة من محبة الله تعالى والتوكل عليه، والورع والزهد والثقة بالله تعالى وكل الأخلاق الجميلة، وهذا ما يحصره أبي سعيد الخراز بقوله (واعلم أن الواصلين إلى الله عز وجل وأهل القرب منه الذين قد ذاقوا طعم محبة الله تعالى بالحقيقة، وظفروا بحظهم من ملكهم: فمن صفاتهم: الورع، والزهد، والصبر، والإخلاص، والصدق، والتوكل، والثقة، والمحبة، والشوق، والأنس، والأخلاق الجميلة... وما استوطنوه من البر والكرم، فذلك كله: معهم وساكن في طبعهم ومخفي في سرائرهم لا يحسنون غيره، لأنه غذاؤهم وعادتهم)<sup>(٤٩)</sup>.

ولما تحلى الأولياء بالأخلاق الجميلة والود مع الله تعالى، وجب على الناس حبهم وعدم إيذائهم، وفي هذا يقول أن عطاء الله السكندري (الصفوا بأولياء الله) (الولي من واد الله، وآمن به واتقاه فلا تحادوا من واد الله جاء في بعض الكتب الإلهية حديث (من أذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب) رواه بن عباس ورواه الطبراني مجمع الزوائد ٢٧٠٩ الله يغار لأوليائه، ينتقم لهم ممن يؤذيهم، ويكرمهم بصون محبيهم، وعون من يلوذ فيهم هم أخص المخاطبين بآية (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) "سورة فصلت: آية ٣١" (٥٠).

كما أنه من المعلوم ان مبنى أمر الولي في المدرسة الشاذلية هو الغني بالله تعالى والفقر عما سواه من الأغيار، فعلى قدر إقبالهم على الحق تعالى وغناهم به تأتي معارفهم، ولذلك يقول أن عطاء الله السكندري (على قدر أهل العزم تأتي العزائم) <sup>(٥١)</sup>، فالنفع والإفادة تأتي من الغني بالله تعالى، ذلك لأن الولي إذا أراد أغنى <sup>(٥٢)</sup>.

فالناس جميعاً لا ينعمون بفضل الله وعنايته وولايته، وإنما هي فضل وهبة يمنحها الله لمن يشاء له من عباده وذلك بقول الرفاعي: (الولاية اختصاص يختص برحمته من يشاء) <sup>(٥٣)</sup>، ومن ثم فالأقرار بالولاية أمر يعترف به معظم الصوفية، ذلك لأن إنكارها ينشأ عن جهل في القلب وظلمة في العين، والشخص المدعي الولاية هو الذي ينطق بها، ذلك لأن أهل الولاية ولاية ما لم يروها، فإذا رأوها فلا ولاية لهم <sup>(٥٤)</sup>، ومن ثم فإن إنكار الولاية الأولياء في قلوب الجهل، من ضيق صدورهم عن المصادر، وبعد علومهم عن موارد القدرة <sup>(٥٥)</sup>.

ومن ثم فالولاية عند الصوفية على ضربين، ولاية بأن يجعل الله وليه - من خلال القيام بالطاعات والبعد عن النواهي - ونوع يتولاه الله بفضلله، فالأولى تتم بالمجاهدة ومتابعة الرسول (ﷺ) في أقواله وأفعاله، وقد قال الله عز وجل في الولاية الأولى (ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) "المائدة: آية ٥٦" وقال في الولاية الثانية (وهو يتولى الصالحين) "الأعراف: آية ١٩٦" فعبد يتولى الله وعبد يتولاه الله، فهما ولايتان صغرى وكبرى فولايته لك الله خرجت من المجاهدة

وولايتك لرسوله خرجت من متابعتك لسنته وولايتك للمؤمنين خرجت من الاقتداء بالأئمة) (٤٦).

ولما كانت الولاية الثانية هي الإقبال يَكُنْه الهمة على الله تعالى، فإن الجبلاني يسلك مسلك باقي الصوفية في ذلك، إذ يقول لا يدخل أحد من عتبة الولاية حتى يسمع المنادي من قلبه ينادي (إلا من أراد دخول حضرة الحق جل وعلا فليترك الحظوظ كلها ويخلع نعليه وهما دنياه وأخراه، ويتجرد عن الأكوان كلها، ويتعر عن جميع الأماني، فلا يكون له ميل ولا محبة لشيء إلا بأمر الله عز وجل) (٤٧).

فالولاية إذن يوصفها مقاماً رفيعاً لا يتحقق لكل الناس، كذلك لا تتحقق إلا بوسيلة القربة من الحق تعالى، فمن حصل في مقام القربة فهو ختم الأولياء، وعلى هذا النحو يجمع ابن عطاء الله السكندري أيضاً في مفهومه للولاية بين ولاية العامة التي تأتي نتيجة الكسب، وولاية الخاصة التي تأتي عن طريق الفضل والجود الإلهي، متابعاً في ذلك إسلافه من أهل الكتاب والسنة، إذ يقول الحكيم الترمذي (فإحداهما للصدّيقين والأخرى لعامة المؤمنين، والأولى أتم وأكمل من الثانية وهي توجب معرفتها ذلك لأنها منه وفضل من الحق تعالى لعباده الذين اصطفاهم، كما نجد لهذا التعريف نظيراً عند الكلاباذي إذ يقول: والولاية والإتيان ولاية تخرج من العداوة وهي لعامة المؤمنين... وولاية اختصاص واصطفاء واصطناع فهذه توجب معرفتها والتحقق بها ويكون صاحبها محفوظاً عن النظر إلى

نفسه فلا يدخله عجب ويكون مسلوباً من الخلق، ويكون محفوظاً من آفات البشرية، وإن كان طبع البشرية قائماً معه باقياً فيه) (٥٨).

مما سبق يتضح لنا أن النبوة على ضربين نبوة عامة لا تشريع فيها، ونبوة خاصة بها تشريع، وكذلك الولاية ولاية عامة تأتي عن طريق الكسب والممارسة للمجاهدة وولاية خاصة، ما هي إلا موهبة وجود من الحق تعالى وهذا ما يتفق فيه كلا من القشيري وأسلافه مع ابن عربي.

#### ٤- هل يجوز الولي أن يعلم أنه ولي، وهل يخص الولي بالكرامة:

يذهب القشيري إلى أن الصوفية أنقسموا إلى فريقين في أن يعلم الولي أنه ولي أم لا، فلقد ذهب الفريق الأول إلى أنه لا يجوز أن يعلم أنه ولي، وهذا الولي دائماً يشعر بالخوف والحزن والأسى على عدم قيامه بطاعة ما، وأصحاب هذا الاتجاه يجعلون من شروط الولاية في الوفاء بالمال، أما أصحاب الرأي الثاني فهم من ذهبوا إلى أنه يجوز أن يعلم أنه ولي ولا تخفى عليهم خافية ولا تستر عنهم حقيقة وهؤلاء هم ورثة الأنبياء في العلم والمعرفة، ولا يجعلون الوفاء بالمال شرط لتحقيق الولاية عكس الفريق الأول، وفي هذا يقول القشيري (اختلفوا في أن الولي: هل يجوز أن يعلم أنه ولي، أم لا؟).

فمنهم من قال: لا يجوز ذلك، وقال: إن الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير، وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكرراً، وهو يستشعر الخوف دائماً أبداً، لخوف سقوطه عما هو فيه، وأن تكون عاقبته بخلاف حاله، وهؤلاء يجعلون من شروط الولاية وفاء المال،.. وإلى هذا كان

يذهب الإمام أبو بكر بن فورك.... ومنهم من قال: يجوز أن يعلم الولي أنه ولي، وليس من شرط تحقيق الولاية في الحال الوفاء في المال ثم إن كان ذلك من شرطه أيضاً فيجوز أن يكون هذا الولي خص بكرامة هي تعريف الحق إياه أنه مأمون العافية إذ القول بجواز كرامات الأولياء واجب وهو وإن فارقه خوف العافية فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال في الحال، أتم وأشد فإن اليسير من التعظيم والهيبة أهدى للقلوب من كثير من الخوف<sup>(٥٩)</sup>.

ويميل ابن عربي إلى الرأي القائل بأن الولي لا يجوز أن يعرف أنه ولي، وهو ما يطلق عليه ابن عربي بأنه خاتم الأولياء، (أن الختم الذي يحمل لواء الولاية، ويكون المنتهى للمقام والغاية، أنه قد كان حتماً لا يعرف، وكان له الأمر لا يزد ولا يصرف في روحانية متجسدة، وفردانية متعددة، ختم أمراً حسيماً فاستتر، وختم أمراً مقامياً فظهر، وإن ظهر بعده ولي فليس له المقام العلي<sup>(٦٠)</sup>).

وخاتم الأولياء عند ابن عربي غير مرتبط بزمن معين وإنما لكل زمن خاتم، ولا يخلوا زمن من الأزمان من الخاتم ويكون مستوراً لا يعرف أنه خاتم، وهذا ما أكد عليه ابن عربي بقوله (كذا جرى الحكم في هذا الولي، الآتي بعد هذا الختم العلي، فليس الختم بالزمان، وإنما هو باستيفاء مقام العيان)<sup>(٦١)</sup>، كما يبين لنا ابن عربي الآيات الدالة على علو مكانه الخاتم وعلى آياته وأحواله، (فمنها في البقرة موضعان، وفي النساء أربعة مواضع، وفي المائدة في ثمانية مواضع، وفي الأنعام موضع، وفي

براءة موضع، وفي مريم موضعان، وفي الأنبياء موضع، وفي الصافات، والشورى، والزخرف، والحديد، والصف، والتحريم<sup>(٦٢)</sup>.

ويعلق الدكتور سعيد مراد على موضوع ستر الولاية بقوله (والذي أراه من جانبنا أن الولاية خفية وظاهرة، والولاية الظاهرة مشهورة لجميع الخلق ذلك بهدف تصديق الولي لأن الأولياء قائمون بالرسالة المحمدية ولتكون آيات الحق وحجة صدق محمد عليه السلام ظاهرة دائماً. وإلى هذا ذهب الأستاذ أبو علي الدقاق، أما الولاية الخفية أو المستورة فهي على قسمين: ولاية ظاهرة لصاحبها (الولي) خافية على الخلق حتى لا يفتتن الناس بصاحبها من فرط أحواله وشدتها وولاية مستورة عن صاحبها وعن الخلق من باب حفظ سر الله عز وجل ومن باب ستر العبد عن حاله وعن الناس)<sup>(٦٣)</sup>.

ويميل أبو الحسن الهجويري (٣٨٧-٥٨١هـ) إلى الرأي القائل بأن الولي لا يجوز أن يعلم ولايته، وإنما يجب سترها ويستشهد في ذلك بقول ابن شجاع الكرمانى: (لأهل الفضل فعل ما لم يروه. فإذا رأوه فلا فضل لهم، ولأهل الولاية ولاية ما لم يروه، فإذا رأوها فلا ولاية لهم، والمراد من هذا القول أنه حينما يوجد الغيب، والولاية تسقط عنها الرؤية، وعندما تحدث الرؤية يسقط معناهما، لأ فضل صفة لا يراها الفضل، والولاية صفة لا تراها الولاية، فإذا قال نخص أنا فاضل، أو أنا ولي، فإنه لا يكون فاضلاً ولا ولياً)<sup>(٦٤)</sup>، فأوَّاء الله تعالى هم مهبط الأسرار



الإلهية، وهذه الأسرار لا يتلقاها إلا من هو قادر على كتمها، وفي هذا يقول الجنيد (أنك لم تعرف أن أولياء الله تعالى هم أولياء الأسرار) <sup>(٦٥)</sup>.

ولئن كانت الولاية تختلف عن النبوة من حيث الحدود والتزويل، وما يستلزم كل منهما، كان علينا أن توضح ما يستلزم الولاية من كرامات، وما يستلزم النبوة من معجزات، وكذلك توضيح الفرق بينهما، وبيان أنواع الكرامات وهل هي شرط ضروري للدلالة على الولاية أم لا؟ ولمن تحدث الكرامة؟ وما هي حدودها، وكذلك انقسام الناس إلى فريقين حول إثبات الكرامات للأولياء، الفريق الأول ينكر إثبات كرامات الأولياء قائلين: إن القول بذلك فيه زعم إبطال النبوات، لأن النبي لا يظهر على غيره إلا بمعجزة يأتي بها تدل على صدقة ويعجز عنها غيره، فإذا ظهرت على يد غيره لم يكن بينه وبين من ليس بنبي فرق ولا دليل على صدقة، قالوا وفيه تعجيز الله عن إظهار النبي عن من ليس بنبي. وقال أبو بكر الوراق: النبي لم يكن نبياً للمعجزة، وإنما كان نبياً بإرسال الله تعالى إياه ووحيه إليه، فمن أرسله الله وأوحى إليه فهو نبي، كانت معه معجزة أو لم تكن، ووجب على من دعاه الرسول الإجابة له، وإن لم يره معجزة <sup>(٦٦)</sup>.

ويستدل هذا الفريق على ضرورة إنكار إثبات الكرامات للأولياء على أساس أن هذا يؤدي إلى الخلط بين النبي والسولي أو اعتبار أن الكرامة أمر ليس خارق للعادة، ويستند في ذلك القشيري إلى رأي أبو إسحاق الأسفرائيني إذ يقول (المعجزات دلالات صدق الأنبياء، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كما أن العقل المحكم لما كان دليلاً للعالم في كونه

عالمًا لم يوجد إلا ممن يكون عالمًا وكان يقول الأولياء لهم كرامات شبيهة إجابة الدعاء فأما جنسي ما هو معجزة للأنبياء) (٦٧).

الفريق الثاني يثبت الكرامات للأولياء على اعتبار أنها من الأمور المقدره لله تعالى ولا يمكن إنكارها، وفي هذا يقول القشيري (ظهور الكرامات على الأولياء جائز والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده وإذا وجب كونه مقدور الله سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله فمن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز) (٦٨)، وهذا ما ذهب إليه أبو بكر الكلاباذي في تعريفاته بقوله (أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء، وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء وكلام البهائم، وطى الأرض، وظهور الشيء في غير موضعه ووقته وقد جاءت الأخبار بها، وصحت الروايات، ونطق بها التنزيل: من قصة الذي عنده علم الكتاب في قوله تعالى (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) "النمل: آية ٤٠" وقصة مريم حين زكريا لها (أني لك هذا قالت هو من عند الله) "آل عمران: ٣٧" (٦٩)، وقال بعض العلماء بالله تعالى إن الله يكرم أولياءه بكرامة لا يطلع عليها العباد، لا في الدنيا ولا في الآخرة ألم تسمع لقول الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) "سورة السجدة: آية ١٧" (٧٠).

فاختصاص الأولياء بالكرامات لا يأتي إلا بعد الجهد والعمل بالطاعات والعبادات، وعلى قدر قيامه بهذه العبادات ينال من الكرامات والأسرار والمعارف الإلهية، ومنهم من يعرف أنه من أهل الكرامات ومنهم لا يعرف، وفي هذا يقول الخراز (وهكذا عامة البدلاء: لا تأتيهم الآيات والكرامات إلا من بعد العمل وبذل الجهد، وأكثر ما لم يحتسبوا: ما أنعم الله تعالى به حين بدأهم الله عز وجل به، ومنهم من يعرف نفسه ولا يعرف غيره ومنهم من يعرف الجميع بأسمائهم وقبائلهم) (٧١).

وإذا كان القشيري ومن بعده ابن عربي قد فرقوا بين الكرامات والمعجزات، وقالوا بجواز الكرامات الأولياء، فإن ابن تيمية قد اعترف بجواز الكرامات للأولياء على أساس أن ذلك يزيدهم خشية وخشوع واستكانة إلى الله تعالى، وفي هذا يقول ابن تيمية (والأولياء إذا أظهر الله لهم من الكرامات شيئاً ازدادوا لله تعالى خضوعاً وخشية واستكانة) (٧٢).

فأقول بجواز الكرامات عند القشيري له العديد من الآراء والأقوال التي تؤيده منها قول إبراهيم بن أدهم (إذ قال لرجل أحب أ، تكون لله ولياً فقال نعم فقال لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله تعالى وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك) (٧٣).

ويتفق الطوسي مع القشيري في القول بجواز الكرامات للأولياء وأن هناك فرق بينها وبين المعجزة وفي هذا القول (من أنكر ذلك - أهل الظاهر - فإنما أنكرها أمراً من أن يقع وهن في معجزات الأنبياء عليهم

السلام وقد غلط قائل هذا القول لأن بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام فرقاً من جهات شتى<sup>(٧٤)</sup>.

ويؤيد كذلك الغزالي قول القشيري في إثبات الكرامات للأولياء، وأن ما يكشف به الولي لا يمكن العقل إدراكه، وفي هذا يقول (إن من الممكن أن يكشف للولي عن شيء لا يستطيع العقل إدراكه. ولكن ليس من الممكن إطلاقاً أن يكشف له عن شيء يحكم عليه العقل بالاستحالة)<sup>(٧٥)</sup> فالكرامة تدخل في عداد عدم الاستحالة (ممكنة) ولكن العقل لا يدركها.

ويستخدم ابن عربي مصطلح العلامات الإلهية بدلاً من الكرامات أو آيات بينات استناداً إلى قوله تعالى (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) "الروم: آية ٢٣"، ويبين ابن عربي ما اختص به هؤلاء الأفراد من معارف: حقيقة ليلة القدر، وكشفها، وسرها، ومعناها.. كما أنه يستعمل مصطلح (رجوع) في الباب ٤٥ من الفتوحات في وصف المرحلة الأخيرة من مراحل الطريق عند الأولياء الكمل من الوارثين ليقارن بين الأولياء (الراجعين) والأولياء (الواقفين) ويعني بهم الواقفين هناك بعد الوصول إلى أعلى المقامات، وهؤلاء الواقفون يشبه حالهم حال الملائكة المهيميز في جلال الله تعالى، والكروبيين، فلا يعرفون سواه، ولا يعرفهم سواه سبحانه، ومهما بلغت درجة التحقق الروحي عند الواقفين، فإنها لا تبلغ أبداً مرتبة الراجعين إلى الخلق بقصد تعليمهم وإرشادهم، سواء كان الراجع مختار كأبي مدين، أو مجبوراً كأبي يزيد البسطامي، فالرجوع في كل هذه الأحوال هو الصورة

المتلى لورثة الأنبياء في رجوعهم من أعلى المقامات إلى حيث يبلغون رسالات الله إلى الخلق... وهكذا يمكن القول بأن الطبقة الثانية من الأفراد، وهي طبقة (الراجعين) أفضل وأكمل من الطبقة الأولى، طبقة (الواقفين)<sup>(٧٦)</sup>.

ويذهب القشيري إلى أن الذوق أو الكشف الإلهي هو بداية التجليات والكرامات الإلهية ثم يتبع هذه الحالة حالات أخرى مثل تذوق المعاني الناشئة عن الصفات والأسماء الإلهية نتيجة لصفاء النفس ولطفها، وفي هذا يقول (الذوق حالة يتبعها الشرب ثم الري، ويقصد بالذوق ذوق المعاني الناشئة عن الصفاء)<sup>(٧٧)</sup>، ويتفق معه في ذلك ابن عربي إذ يقول في الفتوحات (الذوق هو أول مبادئ التجليات الإلهية)<sup>(٧٨)</sup>.

فهذه المعارف والكرامات الإلهية وما يطلق عليها بالعلوم الدنية لا يمكن إدراكها عن طريق العقل وإنما تحدث للولي كما يرى الغزالي (بارتفاع حجاب الحس المرسل بين القلب واللوح)<sup>(٧٩)</sup>، وهذا ما أخذ به ابن عربي من بعده إذ يقول (أصل منازعة الناس في المعارف الإلهية والإشارات الربانية كونها خارجة عن طور العقول، ومجيئها بغته من غير نقل ونظر، ومن غير طريق العقل فتكررت على الناس من حيث طريقها فأفكروها وجعلوها)<sup>(٨٠)</sup>، وفي رسالة أرسلها الشيخ محي الدين بن عربي إلى الإمام فخر الدين الرازي (إن الرجل لا يكمل في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيل .... فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود لا عن فكر وظن)<sup>(٨١)</sup>، ولئن بات واضحاً أن هناك

ارتباط ضرورياً بين الكرامة والولاية، فإن ذلك لا يعني أن نقص الكرامة يقلل من شأن الولي أو يزوده، ذلك لأن الكرامة منه وفضل من عند الحق تعالى على عباده الذين خصهم الله تعالى بالولاية، وأنما هم على درجات أعلاها مرتبة القطب عند ابن عربي (وهو كبير القوم، ومهبط الرحمة، ومصدر البركات، ولا يتعدد صاحبها، حتى يخلفه غيره... فقد جاء في الفتوحات المكية أن الأقطاء وأنواعهم ثلاثة: القطب الواحد وهو بنظر محي الدين بن عربي روح محمد (ﷺ)).

والثاني: قطب العالم الإنساني ويعنون به أن الأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه، ويدعون أن الله قد أبقى بعد محمد (ﷺ) من الرسل الأحياء في هذه الدنيا بأجسادهم وهم: أدريس (ع) وقد أباه الله حياً بجسده وأسكنه في السماء الرابعة، وأبقى في الأرض إلياس وعيسى عليهما السلام وكلاهما من المرسلين القائمين بالدين الحنيف الذي جاء به محمد (ﷺ)، وأبقى الخضر (ع) وهو الرابع من هذه الأقطاب وأحد أركان بيت السدين وهو ركن الحجر الأسود...

والقطب الثالث: هو قطب الغوث، وهو لا يكون منه في الزمان إلا واحد، وهو قد يكون ظاهر الحكم ويجوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن... وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر (٨٢).

فمرتبة القطب هي أعلى مراتب الولاية حسب ما يرى ابن عربي، فتارة يستخدم مصطلح القطب وتارة أخرى يستخدم مصطلح الخاتم، وفي

هذا يقول (فخصني الله بخاتمته أمر لم يخطر لي ببال فشكرت الله بالعجز عن شكره مع توفيتي في الشكر حقه، وما ذكر ما ذكرت من حال للفخر، لا والله وإنما ذكرته لأمرين: الواحد لقوله تعالى: وأما بنعمة ربك فحدث، وأي نعمة أعظم من هذا الأمر، والآخر ليكون سامع الحديث فيه همة لاستعمال نفسه فيما استعملتها فقال مثل هذا فيكون معي وفي درجتي، فإنه لا شيق ولا حرج إلا في المحسوس) (٨٣).

وما عبر عنه القشيري من أن الولي إذا فني عن الأكوان والأسباب والحجب وجلس على كرسي التوحيد، نعم بالمكاشفة للأسرار الإلهية والمعارف الصمدية استناداً إلى ما قاله الخراز (إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبداً من عبده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الأتس به، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية، وكشف له عن الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلاهو فحينئذ صار العبد زمناً فانياً، فوقع في حفظه سبحانه، وبريء من دعاوى نفسه) (٨٤)، وهو في هذا يتفق مع ما قاله ابن عربي في حق الخاتم رغم أن هذا المصطلح لم يعرف إلا عند ابن عربي، وعن صفات الخاتم يقول ابن عربي (وأنه زائل عن مرتبته بختمه، وظاهر يعلم غيره لا يعلمه، وجار في ملكه على خلاف حكمه، ولولا ظهوره بهذا العلم. وحكمه بهذا الحكم ما صح له مقام الختم، ولا ختمت به ولاية ولا كملت به هداية وأنه له حشرين، ولصاحبه فخرين، ولوجه نورين، وفي حفظه علمين وله عالمين

(يشبههم بالوراء للملك)، فهو صاحب حكمين وهو من العجم لا من العرب  
آدم اللون، أصهب، أقرب إلى الطول منه إلى القصر، كأنه البدر الأزهر،  
أسمه عبد الله، وهو اسم كل عبد الله) (٨٥).

وعلى هذا فالكرامة الحقيقية تختلف عن الهواجس والأحوال  
الشیطانية التي بالغ المبدعين فيها واعتبروها كرامة من أجل مصالحهم  
الشخصية، كما أن الولاية منه من الله تعالى وغير مشروطة بالكرامة فهي  
لا تزيد ولا تنقص من قدر الولي، وأصحاب الكرامات الحقّة يجب عليهم  
إخفاءها وسترها عن الخلق، وهذا ما اتفق عليه معظم الصوفية ومن بينهم  
جلال الدين الرومي حين يقول (وكل من له روح طاهرة من الشهوات،  
سرعان ما يرى الإيوان والحضرة الظاهرة) (٨٦).

وعلى أية حال فقد بات واضحاً كيف أن الكرامة الحقيقية - الكرامة  
المعنوية - هي المقصد الأسمى عند معظم الصوفية وعلى رأسهم القشيري  
وابن عربي، لكن أدعياء التصوف وأصحاب المصالح شغلوا أنفسهم  
بصناعة الكرامة وذلك لتحقيق مصالح شخصية والإتجار بالدين وهذا ما  
عبر عنه بعض رجال الإصلاح الديني داخل الوطن العربي وعلى رأسهم  
الإمام المجدد ابن باديس والشيخ محمد عبده، إذ يقول في رسالة التوحيد  
(انشغل الناس بمثل هذه الأمور حتى ظنوا الكرامات وخوارق العادات من  
ضروب الصناعات بل وتنافس فيها الأولياء وتفاضلوا، وهو الأمر الذي  
يبرأ منه الله ودينه وأوليأؤه وأهل العلم أجمعون) (٨٧).



فالمعجزة توجب الإفشاء عنها عند كل الصوفية على حين أن الكرامة توجب كتمها عند معظم الصوفية، ويرجع سبب كتمها وعدم إظهارها عن الخلق هو عدم الاعتزاز بها على الخلق، وفي هذا يقول أبو عمر الدمشقي (كما فرض الله على الأنبياء إظهار حتى لا يفتتن الخلق بها) <sup>(٨٨)</sup>، وأكد هذا القول القشيري حينما يستشهد بقول محمد بن عليان النسوي (من أظهر كرامات فهو مدع، ومن ظهرت عليه الكرامات فهو ولي) <sup>(٨٩)</sup>.

ويوضح بعض الصوفية ما الحكمة في ظهور الكرامات للأولياء بقولهم ما هو (إلا تأديباً لنفوسهم وتهذيباً لها وزيادة لهم ويكون في ذلك فرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام لأنهم لا يعطون المعجزة للاحتجاج بها في الدعوة والدلالة على الله تعالى والإقرار بوحداية تعالى، والفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام أن الأنبياء كلما زيدت معجزاتهم وكثرت أتم لمعانيهم وأثبت لقلوبهم، كما كان نبينا (ﷺ) قد أعطى جميع ما أعطاه الأنبياء عليهم السلام من المعجزات ثم زيادة أشياء لم تعط أحد غيره مثل المعراج وانتشاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة.... وهؤلاء الذين لهم الكرامات من الأولياء كلما زيدت في كرامتهم يكون وجلهم أكثر وخوفهم أكثر حذراً أن يكون ذلك من المكر الخفي لهم والاستدراج وأن يكون ذلك نصيبهم من الله عز وجل وسبباً لسقوط منزلتهم عند الله عز وجل) <sup>(٩٠)</sup>.

ومن ثم (فكل ولي من الأولياء ينال ما يدل من الكرامة بجنس أتباعه لنبية صلى الله عليه وسلم، فكيف يجوز أن يفضل التابع على

المتبوع، والمقتدي على المقتدى به؟ وإنما يعطي الأولياء رشاشة مما يعطي الأنبياء عليهم السلام<sup>(٩١)</sup> وهذا ما اتفق فيه القشيري مع أبي السراج الطوسي.

فستر الكرامات واللطائف الإلهية هي من أهم الموارد التي يغذي بها الولي ولايته، وهذا ما أكد عليه القشيري استناداً إلى ما قاله الواسطي (يغذي الولي ولايته: في بدايته بعبادته وفي كهولته بستره بلطافته ثم يجذبه إلى ما سبق له من نعوته وصفاته ثم يذيقه طعم قيامه به في أوقاته)<sup>(٩٢)</sup>.

فالولي هو من توالى طاعته لله تعالى من غير تخلل معصيه هذا هو شعار كل الصوفية الحقيقية، فالأولياء محفوظين من المعاصي والهفوات وليسوا معصومين، ذلك لأن العصمة للأنبياء فقط، وهذا ما أكد عليه أبي طالب المكي والقشيري إذ يقول الولي (هو الذي تولى الحق سبحانه وتعالى حفظه وحراسته عن المعاصي والمخالفات قال تعالى (وهو يتولى الصالحين) وعلى هذين التفسيرين فالولي محفوز من المعاصي لا على سبيل الوجوب لأن الحفاظ منها على سبيل الوجوب عصمه وذلك مخصوص بالأنبياء عليهم السلام)<sup>(٩٣)</sup>.

ويتفق رجال التصوف مع أصحاب الاتجاه السلفي على رأسهم ابن تيمية في أن مسألة ارتكاب الأولياء للذنوب مسألة نسبية كما يقال حسنات الأبرار سيئات المقربين لكن كل يخاطب على قدر مرتبته، فالفقاعة الكلية أنه لا أحد معصوم بعد النبي (ﷺ) سواء الخلفاء أو غيرهم فالجميع يجوز

عليهم الذنوب والأخطاء بما في ذلك الأولياء فهم ليسوا معصومين بنص الحديث (كل بن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) <sup>(٩٤)</sup>.

فأولياء الله ليسوا معصومين من المعاصي وإنما محفوظين من الهفوات حتى لا يصروا على ارتكاب مثل هذه الذنوب والهفوات، وهذا ما دعا إليه أيضاً القشيري وكذلك ابن عربي، إذا يقول القشيري (هل يكون الولي معصوماً؟). قيل: إما وجوباً كما يقال في الأنبياء فلا وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصير على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلات فلا يمتنع ذلك في وصفهم، ولقد قيل للجنيّد: العارف يزني يا أبا القاسم؟ فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) "الأحزاب: آية ٣٨" <sup>(٩٥)</sup>.

وكذلك من أهم الآداب التي يجب على الولي الالتزام بها حتى يكون محفوظاً من الذنوب والآثام الخوف من الله تعالى، ذلك لأن من بواعث عدم الخوف المكر والخداع، وفي هذا يقول القشيري، (قيل أما الغالب على الأكابر فكان الخوف، وهذا السري السقطي يقول: لو أن واحداً دخل بستاناً فيه أشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول بلسان فصيح السلام عليك يا ولي الله فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكوراً) <sup>(٩٦)</sup>.

بجانب الآداب والأمور التي يطرحها القشيري في شأن الولاية ومدى جوازها وعدمها يتساءل القشيري هل يجوز أن يكون ولي الله ولياً في الحال ثم تتغير عاقبته؟.

(قيل: من جعل شرط الولاية حسن الموافاة لا يجوز ذلك، ومن قال: إنه في الحال مؤمن على الحقيقة وإن جاز أن يتغير حاله بعد لا يبعد أن يكون ولياً في الحال صديقاً ثم يتغير، ويجوز أن يكون من جملة كرامات السولي أن يعلم أنه مأمون العاقبة وأنه لا تتغير عاقبته) <sup>(٩٧)</sup>.

وإذا كان القشيري قد أقر مع معظم الصوفية على أن الأولياء محفوظين من الذنوب وليسوا معصومين، فقد ذهب كذلك إلى أنه لا تجوز رؤية الأولياء لله تعالى بالأبصار في الدنيا على جهة الكرامة (فإن قيل فهل تجوز رؤية الله بالأبصار اليوم في الدنيا على جهة الكرامة فالجواب عنه أنه الأقوى فيه أنه لا يجوز لحصول الإجماع عليه ولقد سمعت الإمام أبا بكر من فورك رضي الله عنه يحكي عن أبي الحسن الأشعري أنه قال في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير) <sup>(٩٨)</sup>، ويذهب إلى ذلك أيضاً أبي طالب المكي بقوله (فالأظهر أنه غير جائز في الدنيا لحصول الإجماع على ذلك ثابتاً والجواز منقول عن كثيرين من المتكلمين، وحكى الشيخ أبو الحسن في ذلك قولين ذكرهما في كتاب الرؤية الكبير وتكلموا فيه إنه هل يجوز أن يكون الإنسان ولياً لله تعالى ثم تتغير عاقبته) <sup>(٩٩)</sup>.

وظهور الكرامات عند جمهور الصوفية هو مقياس الفرق بين الولي والمدعي ودليل على صدق الولي، وذلك على حد قول القشيري (وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز، والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله، وبين من هو مبطل

من طريق الاستدلال أمر موهوم، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه<sup>(١٠٠)</sup>.

وإذا كان ابن عربي قد ذهب إلى القول بفكرة خاتم الأولياء والتي استبعدها ابن تيمية ولم يقل بها القشيري من قبل، فإن ابن تيمية يستبعد أيضاً فكرة أن الولي أفضل من النبي التي قال بها ابن عربي ذلك لأن (الرسالة التي انقطعت هي تنزل الحكم الإلهي على قلب البشر جو بساطة الروح، ومن الطبيعي أن يخالف ابن تيمية الشيخ الأكبر في مثل هذه المسائل فنجد أن ابن تيمية في بعض الأحوال يوافق الشيخ الأكبر مثل إقرار ابن تيمية بالكرامات بالنسبة للأولياء ونجده في مواضع أخرى ينقده ويخالفه الرأي كما في هذه المسألة أفضلية الولي)<sup>(١٠١)</sup>.

وعودة مرة أخرى إلى ابن عربي نلاحظ أنه قد خص كتاب عنقاء مغرب، وهو كتاب من كتب ابن عربي يتخذ من ختم الولاية موضوعاً محورياً ومسألة مركزية يتضمن سلسلة من العبارات ذات دلالة بالغة الوضوح على هذه المسألة، يقول الشيخ في هذا الكتاب (الروح المضاف إلى الحق - جاء في القرآن الكريم (ونفخ فيه من روحه) "السجدة: آية ٩" الذي نفخ فيه في عالم الحق، وهي الحقيقة المحمدية، والنبي (ﷺ) هو الجنس العالي إلى جميع الأجناس<sup>(١٠٢)</sup>).

وقد توالى المفهومات المتعددة لمفهوم الولاية لدى ابن عربي وكلها مكملة لمفهوم الحقيقة المحمدية ومرتبطة به أوثق الارتباط منها مفهوم الإنسان الكامل والقطب وهو ما يطلق على كل كيان روحي يتولى

وظيفة القطب ويقوم بمهمة في الكون (فالكمال المقصود في الإنسان الكامل لا ينبغي أن يؤخذ بالمعنى الخلفي، أي بالمعنى المتصل بالفضائل البطولية وإنما بمعنى التمام أو الكمال، وهذا الكمال في حقيقته لا يحصل إلا لمحمد ﷺ) فهو خاص به، وهو المظهر الأتم الجامع للحقيقة المحمدية، لكنه أيضاً وباعتبار آخر يمثل الغاية القصوى التي تنشدها وتنتهي إليها كل حياة روحية، وكذلك هو يمثل معنى الولاية وحدها الحقيقي، فولاية السولي لا تعني شيئاً أكثر من مجرد الاشتراك أو الوراثة في ولاية النبي (١٠٣).

مما سبق يتضح لنا أن مفهوم الولاية قد ظهر في مؤلفات ابن عربي المتعددة تحت أكثر من اسم ومسمى منها الخاتم، السولي، العارف، الملاهي، المحقق، الإنسان الكامل، الوارث، القطب، والغوث، وكل هذه المصطلحات تطلق على ورثة الأنبياء، ولهذا ورد في الخبر (أن العلماء ورثة الأنبياء) ولم يقل ورثة بنبي خاص، والمخاطب بهذا علماء الأمة، ولهذا فرق ابن عربي بين نوع الوارثين فمنهم الوارث المحمدي، وهؤلاء الأولياء هم الذين يرثون من محمد ﷺ إراثاً مباشراً بخصائص تميزهم عن غيرهم من الأولياء الذين يرثون محمد ﷺ بتوسط أنبياء آخرين أنبياء - بني إسرائيل - وهو بصدد حديثه عن معنى السكينة، أن السكينة لم تنزل على بني إسرائيل نزولاً مباشراً، أي لم تنزل على قلوبهم وإنما نزلت في مكان بعيد عن قلوبهم، هو: التابوت (أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) "البقرة: ٢٤٨" لكنها نزلت على قلوب المؤمنين من أمة محمد ﷺ نزولاً مباشراً... وهذا هو الفرق بين الوراثة المحمديين ووراثة سائر

الأنبياء، فورثة الأنبياء يعرفون في العموم بما يظهر عليهم من خرق العوائد، ووارث محمد (ﷺ) مجهول في العموم معلوم في الخصوص، لأن خرق عادته إنما هو حال وعلم في قلبه، فهو في كل نفس يزداد علماً بربه علم حال وذوق، ولا يزال كذلك<sup>(١٠٤)</sup>.

فالولاية أعلى من النبوة عند ابن عربي، ومن ثم فخاتم الأولياء أعلى من خاتم الأنبياء، ويبرر ذلك بقوله (أن الرسالة والنبوة تتقطعان، والولاية لا تتقطع أبداً... وزعم أن الرسل إنما يرون هذا العلم من مشكاة خاتم الأولياء، فجعل خاتم الأولياء أعلم بالله من جميع الأنبياء والرسل... فعملو رتبته الولاية عند ابن عربي ينطبق على شخصه الرسول محمد (ﷺ) باعتبار أنه ولي قبل أن يكون نبياً ورسولاً، قال في النصوص في كلمة عزيزية (إذا سمعت أحداً من أهل الله تعالى يقول، أو ينقل إليك عنه أنه قال الولاية أعلى من النبوة، فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرنا، أي ولاية محمد فوق نبوته، أو يقول أن الولي فوق النبي والرسول، فإنه يعني بذلك في شخص واحد وهو شخص محمد، ويبين لنا ابن عربي أن الرسول عليه السلام من حيث هو ولي أتم منه من حيث هو نبي ورسول، لا أن الولي التابع له أعلى منه، فإن التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له، إذ لو أدركه لم يكن تابِعاً له<sup>(١٠٥)</sup>).

وخاتم الأولياء عند ابن عربي نوعين خاتم وهو الوارث المحمدي مباشرة- وخاتم عن طريق سائر الأنبياء عن الوارث المحمدي، وعيسى عليه السلام هو الخاتم، أما محمد (ﷺ) هو خاتم الأنبياء، وفي هذا يقول

ابن عربي (الختم ختمان: ختم يختم الله به الولاية العامة، وختم يختم الله به الولاية المحمدية (الخاصة). فأما ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولي بالنبوة المطلقة، وأما ختم الولاية المحمدية فهو لرجل من العرب... وهو في زماننا موجود عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة... وكما أن الله ختم بمحمد (ﷺ) نبوة التشريع كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الوارث المحمدي لا التي تحصل من سائر الأنبياء فإن من الأولياء من يرث إبراهيم وموسى وعيسى (١٠٦).

وينتقد ابن تيمية ابن عربي في فكرة ختم الأولياء وذلك على اعتبار أن الخاتم ليس هو آخر مؤمن بقي في الدنيا، بل الأفضل منه والأكمل الصحابة والصديقين والشهداء هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى اعتبار الأولياء أفضل من الأنبياء وهذا يتناقض مع مفهوم العقل والدين عند ابن تيمية إذ الأنبياء سابقين على الأولياء وهم مصدر علومهم ومعرفتهم بالشرع، وفي هذا يقول ابن تيمية (فقد عم ابن عربي أن الأولياء والرسل من حيث ولا يتهم تابعون لخاتم الأولياء وأخذوا من مشكاته، فهذا باطل بالعقل والدين، فإن المتقدم لا اخذ من المتأخر والرسل لا يأخذون من غيرهم وكذلك زعم ابن عربي خاذاً الأنبياء عليه بالتشريع فقط وليس بالعلم وهذا من أعظم الكفر) (١٠٧).

وخاتم الأولياء عند ابن عربي هو (الو) الوارث الأخذ عن الأصل المشاهد للمراتب وهو حسنة من حسنة خاتم الرسل محمد (ﷺ)



مقدم الجماعة وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة فعين حالاً خاصاً ما عم، وفي هذا الحال الخاص تقدم على الأسماء الإلهية.... ففاز محمد (ﷺ) بالسيادة في هذا المقام الخاص<sup>(١٠٨)</sup>، هذا الخاتم في الدرجة العليا من الولاية، إذ أن الأولياء في الولاية على منازل ومراتب مختلفة (مرتبة الأبدال وهم سبعة يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة ولا يزيدون ولا ينقصون ثم يأتي مرتبة النقباء وهم اثنا عشر نقيباً في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون على عدد بروج الفلك)<sup>(١٠٩)</sup>.

وهناك تقابل بين فكرة الخاتم للأولياء وبين فكرة الإمامة عند الشيعة (فمحمد إذن بصفته رسولاً هو مظهر النبوة المطلقة وهو خاتم النبيين، أما الإمام على وصية فهو الولاية المطلقة وخاتمها، ويأتي الإمام الثاني عشر المستور أو الغائب كخاتم الولاية الخاصة، وهذه الولاية الخاصة والمقيدة الأخيرة إنما تبدأ بمعنى الولاية في شخص النبي أي هي الولاية المحمدية، أما الولاية المطلقة فإنها تبدأ في الظهور من شيث من آدم)<sup>(١١٠)</sup>.

وإذا كان الأولياء عند ابن عربي هم ظل الله تعالى في أرضه، وورثه الأنبياء ومنجم المعرفة والأسرار الإلهية، فإن هذا القول يتقابل كما أن سبق إذ ذكر مع ما قاله الشيعة في صفات الإمام وخصوصاً فرقة الإسماعيلية إذ تقول (عن الأئمة: يمر الأنبياء ويتغيرون وأما نحن فإننا الباقون، ويقول الإنسان الكامل: لقد عرفت الله من قبل أن تخلق السموات والأرض، وأن النور هو الذي يعرفنا بوجود الصباح، هذا النور مثله

كأولياء الله أو الأئمة فهم ليسوا الله نفسه ولكنهم لا يتصلون عنه وينبشون عن حقيقته<sup>(١١١)</sup>، وكذلك نقول: الإمام هو ظل الله على الأرض وهو الإنسان الكامل الذي اجتمع فيه اللاهوت والناسوت، وقيل من لم يعرف إنسان زمانه الكامل فإنه سيقى غريباً<sup>(١١٢)</sup>.

فخاتم الأولياء موجودين في كل الأزمان منهم مستور ومنهم معروف وهذا ما اتفق عليه كلاً من الصوفية والشيعة في فكرهم عن الإمام، وفي هذا يقول الشيعة عن الأئمة (هم الذين ينبشون قلوب المؤمنين، وهم ركائز الأرض والعلامات التي يشير إليها الله في كتابه، والذين أعطاهم الحكمة الطبيعية خلفاء الله على الأرض... وهم ليسوا بالمستورين فحسب بل هم المعنى الباطن نفسه إنهم.... ورثة المعرفة يرث بعضهم بعضاً.... ويعرفون اسم الله الأعظم مثله مثل تابوت العهد عند اليهود، وإلى نزولهم على الأرض يشير نزول الملائكة والروح في ليلة القدر. وهم يعرفون كل المعارف التي بلغها الملائكة للأنبياء والمرسلين، ومعرفتهم تشمل كل الأزمان، إنهم المحدثون الذين تحدث الملائكة إليهم لأنهم نور قلوب المؤمنين)<sup>(١١٣)</sup>.

## خاتمة

مما سبق اتضح لنا كيف أن الولاية تستمد جذورها الأولى من الكتاب والسنة، وأنه لكي يتحقق العبد بها لا بد له من الاستقامة في علمه وعمله واليقين والثقة بالله تعالى، كما أن الأولياء ليسوا علي درجة واحدة، وهذا التفاوت يرجع إلي درجة تفاوتهم في المجاهدات والرياضات الروحية والقرب والبعد عن النواهي، كما أن الصوفية أطلقوا علي أصحاب الدرجات ألقاب تميز كل منهما، ومن ذلك إطلاقهم (الخصوص وخصوص الخصوص).

والولاية قد تكون بمعنى القرب من الله تعالى، وقد تكون بمعنى الهداية والنصرة من الله تعالى وقد تكون بمعنى المحبة لله تعالى، وكل هذه المعاني تختلف درجاتها حسب قوة الإيمان والقيام بانطاعات والبعد عن النواهي، وأعلي درجات الولاية هي ولاية الصالحين وهم من تولاهم الله تعالى بفضلهم وهذا ما دعي إليه القشيري من خلال قوله تعالى (وهو يتولي الصالحين) "الأعراف: آية ١٩٦".

وقد جعل ابن عربي الولاية هي الركن الثالث من أركان الدين، إذ يشبه الدين بالبيت له أربعة أعمدة هما الرسالة والنبوة، والولاية، والإيمان، ولا يقام هذا البيت بركن دون الآخر. وقد جعل الولاية علي غرار النبوة، إذ قسم النبوة إلي قسمين: هما النبوة العامة

لا تشريع فيها، ونبوة خاصة وهي التي بها تشريع، وكذلك الولاية قسمين: ولاية عامة عن طريق الكسب، وولاية خاصة موهبة وجود من الحق تعالى.

يذهب القشيري ومن بعده ابن عربي إلي أن الولاية وما يسلتزمها من كرامة تعني تمام العبودية ودوام المراقبة للحق تعالى، وحسن العبادة في الظاهر والباطن والمعرفة بربوبيته طلبا للاستقامة، كما أن الكرامة الحقيقية (المعنوية) هي المقصد الأسمى عند كليهما. اتفق كلا من القشيري وابن عربي علي أن الولاية تتوقف علي قدر الطاعة والعبادة وأن الناس في الولاية علي مراتب وهي نتيجة منطقية لأن الأولياء ليسوا علي درجة واحدة في الطاعة، كما أن الولي ليس معصوم من الذنوب وإنما محفوظ عن الأثام والذنوب، كما اختلف القشيري عن ابن عربي في القول بالخاتم، حيث ذهب ابن عربي إلي القول بخاتم الأولياء علي غرار خاتم الأنبياء.

استحدث ابن عربي مصطلحات جديدة عن مصطلحات أهل السنة، مثل القطب- الخاتم- الخاتم المحمدي - الغوث- الإنسان الكامل- النور المحمدي- الوارث- مخباء الأسرار الإلهية وهي مصطلحات معظمها مأخوذة عن الشيعة، كما اعتبر ابن عربي الولاية في مرتبة أعلي من مرتبة النبوة علي أساس أن النبي لا بد وأن يكون ولي، ولكن كل ولي ليس بنبي.

أتفق كلا من القشيري وابن عربي علي أن حال الفناء هو الحال الذي ينكشف فيه الأسرار والمعارف الإلهية للأولياء، كما اتفق علي أن المعجزة يجب الإقضاء عنها، أما صاحب الكرامة يجب عليه كتمها خصوصاً وإذا كانت كرامة معنوية حتى لا يغتر صاحبها بها. يؤكد ابن عربي علي أن انولاية لا تنقطع لهذا سمها بالفلك المحيط بالعالم، أما النبوة فمنقطعة في محمد (ص)، كما أن لفظ الولاية عند ابن عربي متضمن في العديد من الأسماء منها العارف، الوارث، المحقق الملامي، الصوفي، العبد، الرجل، كما اعتمد ابن عربي علي أسلوب الرمز والإشارة والخيال مثله في ذلك مثل باقي الصوفية.

كما اتفق كلا من القشيري وابن عربي أيضاً علي أن هناك ارتباطاً ضرورياً بين الكرامة والولاية، وفي نفس الوقت أن نقص الكرامة لا يقلل من شأن الولي أو يزوده، ذلك لأن الكرامة منه وفضل من الحق تعالى علي عباده الذين خصهم الله تعالى بالولاية، وأن مصطلح القطب أو الخاتم هو أعلى مراتب الولاية حسب ما يري ابن عربي، كما أن ستر الكرامات واللطائف الإلهية هي من أهم الموارد التي يغذي بها الولي ولايته، وهذا ما أكد عليه القشيري في الكثير من أقواله.

وإذا كان ابن عربي قد ذهب إلى القول بفكرة خاتم الأولياء والتي استبعدها ابن تيمية ولم يقل بها القشيري من قبل، فإن ابن تيمية يستبعد أيضاً فكرة أن الولي أفضل من النبي التي قال بها ابن عربي، علي حين أنه في نفس الوقت يتفق معه في القول بجواز الكرامات للأولياء، ويعلل ابن تيمية ابن سبب رفضه للقول بالخاتم للأولياء هو أن الخاتم ليس هو آخر مؤمن بقي في الدنيا، بل الأفضل منه والأكمل الصحابة والصديقين والشهداء هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن القول بأن الأولياء أفضل من الأنبياء يتناقض مع مفهوم العقل والدين. أن اعتبار الأولياء ظل الله تعالى في أرضه عند ابن عربي يتقابل مع ما قاله الشيعة في صفات الإمام وخصوصاً فرقة الإسماعيلية مع الفارق أن الإمام عند الشيعة معصوم من الذنوب والأثام، أم الخاتم عند ابن عربي محفوظ وليس معصوم.

## الهوامش

- ١- إبراهيم بسيوني: الإمام القشيري، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ١١٠-١١٣، سورة الأعراف: آية ١٩٦.
- ٢- علي مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، ص ٥٦.
- ٣- سعاد الحكيم: عودة الواصل- دراسة حول الإنسان الصوفي، مؤسسة ندرة للدراسات، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ص ١٧٧-١٧٩.
- ٤- محمد مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام، دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٥م، ص ٩٤.
- ٥- أبو العلا عفيفي: التصوف، الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف بمصر ١٩٦٣م، ص ١٦.
- ٦- القشيري: هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري ولد في شهر ربيع الأول ٣٧٦هـ- ٩٨٦هـ ببلدة استوا وتوفي في نيسابور ربيع الآخر ٤٦٥هـ/ ١٧٠٣م، وقد دفن إلى جانب استاذ الشيخ أبي علي الدقاق، النيسابوري نسبة إلى نيسابور أو شابور وهي عاصمة خراسان من أعظم المدن الإسلامية في القرون الوسطى مع بلخ وهراة ومرو وهي مسقط رأس عمر الخيام وفريد الدين العطار، وقد أقام بها الشيخ وتوفي بها، أهم مؤلفاته، أحكام الشرع، آداب الصوفية، الأربعون في الحديث، بلغة المقاصد في التصوف، شرح الأسماء الحسني،

الرسالة القشيرية في علم التصوف، لطائف الإشارات، اللمع في الاعتقاد، الذكر والذاكر استفاضة المرادات، بلغة المقاصد في التصوف وغيرها، أنظر، القشيري: الرسالة القشيرية، تحقيق معروف زريق، علي عبد الحميد، دار الخير ١٩٨٨م، ص ٥-٧.

٧- المصدر السابق: ص ٢٠.

٨- القشيري: الرسالة القشيرية، شرح زكريا الأنصاري، مكتبة صبيح، ١٩٧٢م، ص ٣.

٩- المصدر السابق: ص ٤.

١٠- الهجويري: كشف المحجوب، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل، مراجعة أمين بدوي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٥م، ج ٢، ص ٤٤٣.

١١- الرسالة القشيرية: شرح زكريا الأنصاري، ص ٢٠٠-٢٠١، وأنظر رفيق العجم: موسوعة كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج وآخرون، مكتبة لبنان ١٩٩٦م، ج ٢، وأنظر القشيري: لطائف الإشارات تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم، تحقيق إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨م، ج ٢، ص ٣٩٧.

١٢- أبو القاسم القشيري: شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق أحمد عبد المنعم الحلواني مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٠م، ص ١٤٧، وأنظر أيضاً القشيري: التحبير في التذكير، تحقيق إبراهيم



بسيوني، مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٦٨م، ص ٧١، وأنظر  
القشيري: لطائف الإشارات تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم،  
ج ١، ص ١٩٨.

١٣- علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق عبد المنعم الحفني، دار  
الرشاد ١٩٩١، ص ٢٨٢، وأنظر د/ أحمد الجزار: الولاية بين  
الجيلاني وابن تيمية، دار الثقافة ١٩٩٠م، ص ٩.

١٤- عبد المنعم الحفني: المعجم الصوفي، دار الرشاد ١٩٩٧م، ص  
٢٦٢، وأنظر عبد الرزاق الكاشاني: إصطلاحات الصوفية:  
تحقيق محمد كمال جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨،  
ص ٥٤، وأنظر أبو العلا عفيفي: التصوف، الثورة الروحية في  
الإسلام، ص ٢٩٠ - ٢٩١، وأنظر كامل مصطفى الشبيبي: الصلة  
بين التصوف والتشيع، دار الأندلس ١٩٨٧م، ص ٣٧٨.

١٥- أبو بكر محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق  
عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، مطبعة دار إحياء  
الكتب العربية ١٩٦٠م، ص ٧٤ - ٧٥.

١٦- عبد الرزاق الكاشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام،  
تحقيق سعيد عبد الفتاح، دار الكتب ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٣٩٧ -  
٣٩٨، وأنظر التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون، طبع  
استانبول ١٣١٧هـ، ج ٢، ص ١٥٢٨، وأنظر مصطفى حلمي:  
ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة ١٩٨٢م، ص ٣٢٥.

- ١٧- د. أحمد الجزار: الولاية بين الجيلاني وابن تيمية دار الثقافة ١٩٩٠م، ص ١٠-١٦.
- ١٨- كامل مصطفى الشبيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، ص ٣٧٧-٣٧٨.
- ١٩- الحديث: أخرجه البخاري، ج ٨، ص ١٠٥، باب التواضع وأورده صاحب الأحاديث القدسية من حديث من بن عثمان بن كرامة عن أبي هريرة، وأنظر د. أحمد محمود الجزار: الولاية بين الجيلاني وابن تيمية، ص ١٤، وأنظر الهجويري: كشف المحجوب، ج ٢، ص ٤٤٣-٤٤٤.
- ٢٠- الهجويري: كشف المحجوب، ج ٢، ص ٤٤٤، وأنظر عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق حسين شريعة، مطبعة الخانجي ١٩٧٧م، ص ٢٥٠.
- ٢١- أحمد زروق: شرح حكم ابن عطاء الله، تحقيق عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مكتبة النجاح طرابلس ١٩٦٩م، ص ٤١٠.
- ٢٢- القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٢٠٠-٢٠١.
- ٢٣- المصدر السابق: ص ٢٠٢.
- ٢٤- المصدر السابق: ص ٢٠٢.
- ٢٥- المصدر السابق: ص ٢٠٣.
- ٢٦- المصدر السابق: ص ٢٠٣.

- ٢٧- ابن عباد النفري: المواقف والمخاطبات، تصحيح آرثر يوحنا أربري، دار الكتب ١٩٣٤، ص ١٠٩.
- ٢٨- أبو المواهب الشاذلي: قوانين حكم الإشراف، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٠م، ص ٦٢، وأنظر أحمد الرفاعي: البرهان المؤيد، تحقيق د. صلاح عزام، مطبعة الشعب ١٩٧١م، ص ٥٤.
- ٢٩- ابن عربي: الفتوحات المكية، تحقيق وتقديم د. عثمان يحيى، مراجعة د. إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـ - ١٩٨٧م، السفر الحادي عشر، ص ٢٦٦.
- ٣٠- المصدر السابق: ج ١١، ص ٢٦٨ - ٢٧٠.
- ٣١- المصدر السابق: ج ١١، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
- ٣٢- المصدر السابق: ج ١١، ص ٢٧٥ - ٢٧٧.
- ٣٣- المصدر السابق: ج ١١، ص ٢٧٨ - ٢٨١.
- ٣٤- المصدر السابق: ج ١١، ص ٢٨١ - ٢٨٢.
- ٣٥- المصدر السابق: ج ١١، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.
- ٣٦- المصدر السابق: ج ١١، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.
- ٣٧- ابن عربي: الفتوحات المكية تحقيق وتقديم د. عثمان يحيى، مراجعة د/ إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م، السفر الثالث، ص ١٣، ١٥٣ - ١٥٤.
- ٣٨- القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٢٠٣.

- ٣٩- المصدر السابق: ص ٢٠٣.
- ٤٠- المصدر السابق: ص ٢٠٣.
- ٤١- ابن عربي: الفتوحات المكية، جـ ١١، ص ٢٧٣-٢٧٤.
- ٤٢- المصدر السابق: جـ ١١، ص ٢٨٢.
- ٤٣- محيي الدين بن عربي: عتقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب، عالم الفكر بدون تاريخ، ص ١٥٣.
- ٤٤- محيي الدين بن عربي: نصوص الحكم، تعليق أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ص ١٣٤-١٣٥.
- ٤٥- سميح عاطف الزين: الصوفية في نظر الإسلام، دار الكتاب، بيروت- لبنان ١٩٨٩م، ص ١٧٧.
- ٤٦- أحمد الرفاعي: البرهان المؤيد، تحقيق د. صلاح عزام، مطبعة الشعب ١٩٧١م، ص ٥٩، وأنظر أبو العلا عفيفي: التصوف، الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف ١٩٦٣م، ص ٢٩٥.
- ٤٧- محيي الدين بن عربي: قصص الحكم، ص ١٣٦.
- ٤٨- مصطفى حلمي: ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة ١٩٨٢م، ص ٣٢٦-٣٢٧، وأنظر أبو العلا عفيفي: التصوف، الثورة الروحية في الإسلام، ص ٣٠٨-٣٠٩.
- ٤٩- أبي سعيد الخراز: كتاب الطريق إلى الله أو كتاب الصدق، تحقيق عبد الحليم محمود: مكتبة دار العروبة ١٩٦٠م، ص ١٠٤.

- ٥٠- ابن عطاء الله السكندري، عنوان التوفيق في آداب الطريق، تحقيق صفوة السقا، مكتبة ربيع حلب ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، ص ١٩-٢٠.
- ٥١- ابن عجيبة الحسني: إيقاظ الهم في شرح الحكم، مكتبة زهران ١٩٩٥م، ص ٢٤٢.
- ٥٢- أحمد زروق: شرح حكم ابن عطاء الله، تحقيق عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مطبعة النجاح ١٩٦٩م، ص ٢٦٤.
- ٥٣- أحمد الرفاعي: البرهان المؤيد، ص ٥٩.
- ٥٤- عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين حسين شربية، مكتبة الخانجي ١٩٧٧، ص ٩٣.
- ٥٥- المصدر السابق: ص ٢٨٢.
- ٥٦- ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن، هامش علي كتاب لطائف المنن والأخلاق لعبد الوهاب الشعراني، المطبعة الميمنية ١٣٢١هـ، ص ٨٣-٨٤.
- ٥٧- عبد الوهاب الشعراني: لطائف المنن والأخلاق، عالم الفكر ١٩٧٧م، ص ١٣٥.
- ٥٨- أبو بكر الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين النواوي مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠م، ص ٩٠-٩١.

- ٥٩- القشيري: الرسالة القشيرية، مؤسسة دار الشعب ١٤٠٩هـ —  
١٩٨٩م، ص ٤٣٧، أو مطبعة صبيح ص ٢٠١.
- ٦٠- محيي الدين بن عربي: عنقاء مغرب في خاتم الأولياء وشمس  
المغرب، ص ١٥٣.
- ٦١- المصدر السابق: ص ١٥٣.
- ٦٢- المصدر السابق: ص ١٥٥ - ١٥٦.
- ٦٣- سعيد مراد: التصوف الإسلامي رياضة روحية خالصة عين  
للدراستات والبحوث الإنسانية، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، ص ٣٤٠.
- ٦٤- الهجويري: كشف المحجوب، إسعاد عبد الهادي قنديل، المجلس،  
الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٤، ج١، ص ٣٥٠.
- ٦٥- المصدر السابق: ج١، ص ٣٤٢.
- ٦٦- أبو بكر الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، مطبعة دار  
إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م، ص ٧٢.
- ٦٧- القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٢٧٤.
- ٦٨- المصدر السابق: ص ٢٧٣ - ٢٧٤.
- ٦٩- أبو بكر الكلاباذي: ص ٧١ - ٧٢.
- ٧٠- أبو سعيد الخراز: كتاب الطريق إلى الله أو كتاب الصدق، تحقيق  
د/ عبد الحليم محمود، مكتبة دار العروبة ١٩٦٠م، ص ٩٥.
- ٧١- المصدر السابق: ص ٩٦ - ٩٨.

- ٧٢- الطبلأوي محمود: التصوف في تراث ابن تيمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص ٢٤٧.
- ٧٣- الرسالة القشيرية: ص ٢٠٢.
- ٧٤- السراج الطوسي: اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور مطبعة دار الكتب الحديثة بمصر ١٩٦٠م ص ٥٣٤.
- ٧٥- محمود حمدي زقزوق: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨١م، ص ١٦٣.
- ٧٦- ميشيل شوكيفيتش: الولاية، ترجمة أحمد الطيب، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠م، ص ١٧٤-١٧٥.
- ٧٧- أبو الوفا الغنيمي النفثازاني: دراسات في الفلسفة الإسلامية، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٥٧م، ص ١٤٩.
- ٧٨- المصدر السابق: ص ١٤٨.
- ٧٩- المصدر السابق: ص ١٥٩.
- ٨٠- المصدر السابق: ص ١٥٩.
- ٨١- المصدر السابق: ص ١٥٩.
- ٨٢- سميح عاطف الدين: الصوفية في نظر الإسلام، دراسة وتحليل دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥م، ص ١٧٢-١٧٣.
- ٨٣- نصر حامد أبو زيد: هكذا تكلم ابن عربي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م، ص ٣٢.
- ٨٤- القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٢٠٣.

- ٨٥- ابن عربي: كتاب عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب، ص ١٥٧.
- ٨٦- جلال الرومي: مثنوي، ترجمة وشرح إبراهيم الدسوقي المشروع القومي للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨م، جـ ١، ص ١٥١، جـ ٢، ص ٣١٣-٣١٤.
- ٨٧- أحمد الجزار: فخر الدين الرازي والتصوف، نهضة الشرق ١٩٩٦م، ص ١٦٣.
- ٨٨- أحمد الجزار: الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، درا الوزان ١٩٨٨م، ص ١١٣.
- ٨٩- عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق حسين شريية، مطبعة الخانجي ١٩٧٧م، ص ٢٧٧-٣٢١، وأنظر القشيري: ص ٣٥٣-٣٥٨، وأنظر فخر الدين الرازي والتصوف ص ١٥٩-١٦٢، وأنظر الهجويري: كشف المحجوب، ص ٤٥٥-٤٥٧، وأنظر أبو بكر الكلادبازي: التعريفات، ص ٤٩-٢١٠، وأنظر حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة المختار ١٩٨٧م، ص ٢٤٠.
- ٩٠- عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص ٤١٨.
- ٩١- أبي نصر السراج الطوسي: اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ١٩٦٠م ومكتبة المثنى ببغداد، ص ٥٣٥-٥٣٦.



- ٩٢- المصدر السابق: ص ٥٣٦.
- ٩٣- القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٢٩٥.
- ٩٤- أبي طالب المكي: كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، بدون تاريخ، ج ٢، ص ٢٨٧.
- ٩٥- مصطفى حلمي: ابن تيمية والتصوف، مكتبة دار العلوم القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٢م، ص ٣٢٦ - ٣٢٧.
- ٩٦- القشيري: الرسالة القشيرية، ص ٢٧٧.
- ٩٧- المصدر السابق: ص ٢٧٧.
- ٩٨- المصدر السابق: ص ٢٧٧.
- ٩٩- المصدر السابق: ص ٢٧٧.
- ١٠٠- أبي طالب المكي: كتاب قوت القلوب، ص ٢٨٧.
- ١٠١- الرسالة القشيرية: ص ٢٧٣ - ٢٧٤.
- ١٠٢- ابن تيمية والتصوف: ص ٢٨١.
- ١٠٣- ميشيل شودكيفيش: الولاية ص ١٠٩.
- ١٠٤- المصدر السابق: الولاية ص ١١١.
- ١٠٥- المصدر السابق: ص ١١٢ - ١١٣.
- ١٠٦- الطبلوي محمود: التصوف في تراث ابن تيمية، ص ٢٢٤.

- ١٠٧- المصدر السابق: ص ٢٢٥ وأنظر سعاد الحكيم: عودة الواصل، دراسات حول الإنسان الصوفي، الناشر مؤسسة دندرة للدراسات الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤، ص ١٩٩ - ٢٠٠.
- ١٠٨- الطبلاني محمود: التصوف في تراث ابن تيمية، ص ٢٧٧.
- ١٠٩- فصوص الحكم، ج١، ص ٦٤.
- ١١٠- سعاد الحكيم: عودة الواصل، ص ١٩٢ - ١٩٣.
- ١١١- محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٨٤، ص ١٥٢ - ١٥٣.
- ١١٢- المصدر السابق: ص ١٨٥.
- ١١٣- المصدر السابق: ص ١٥٤.